

الرقم التسلسلي: / 2023

رقم التسجيل: 161731105769

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

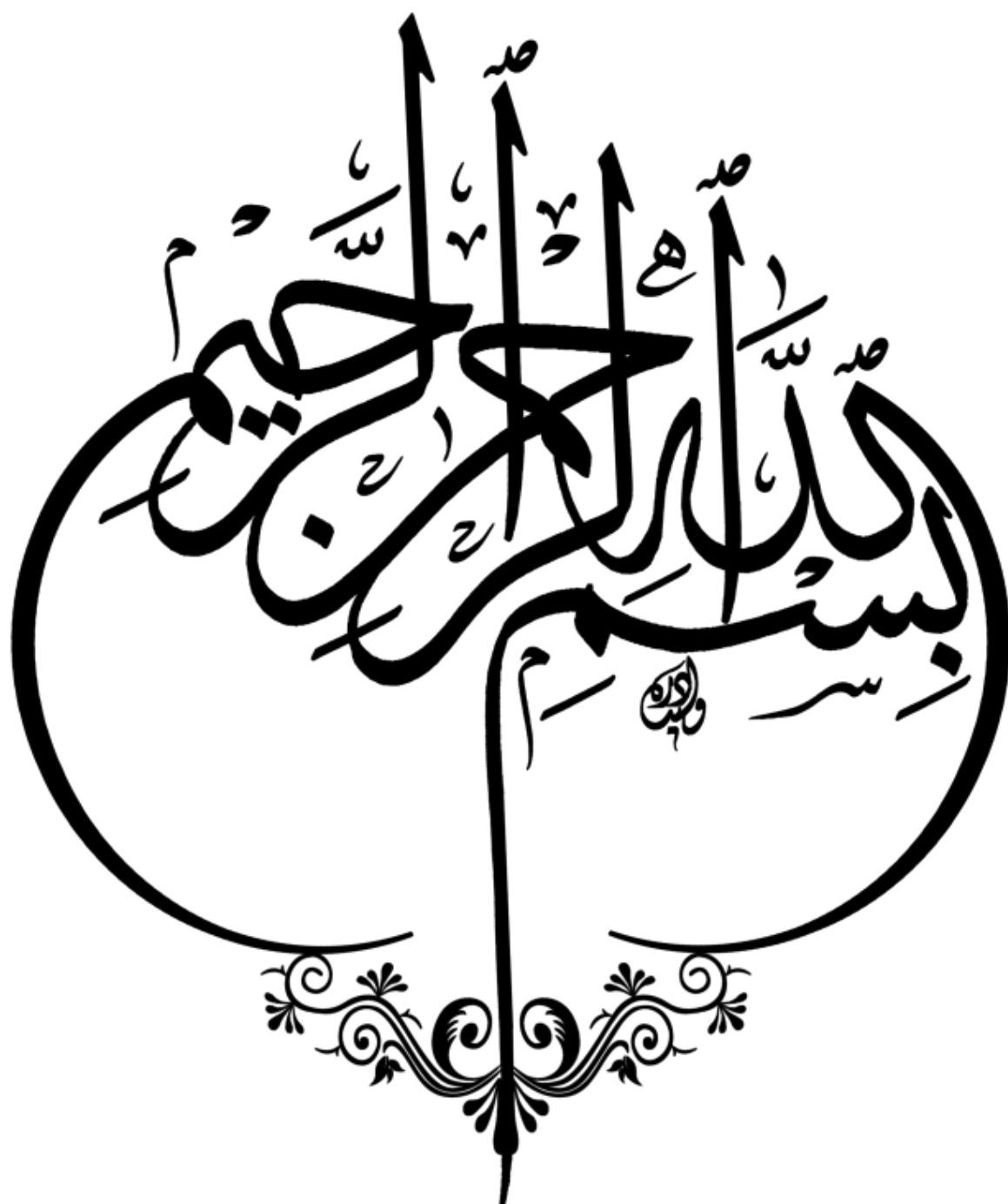
الآفات الاجتماعية والانحرافات في المجتمع الأندلسي
عصر ملوك الطوائف
(422 - 488هـ / 1031 - 1095م)

إعداد الطالب:

- وليد سعد

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. عبد الرحمان نويقة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	رئيسا
أ.د. مفتاح خلفات	أستاذ التعليم العالي (أ)	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. عامر خير	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	عضوا مناقشا



شكر وعرفان

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، حمدا يليق
بجلاله، وأحمده سبحانه فهو ولي التوفيق
والسداد،

كما اوجه خالص عبارات الشكر والامتنان لأستاذي
المشرف مفتاح خلفات الذي رافقني طيلة مدة
انجاز هذا البحث، فكان خير معين وضاء بحثي
بتوجيهاته ونصائحه وكذا صبره معي طيلة البحث
وعلى توفيره لجو مساعد وظروف عملي بعيدا
على الضغط كما أقدم شكري لزملاء الدراسة كل
باسمه

والله ولي التوفيق

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الأستاذ "مفتاح
خلفات" المحب للخير والمتفان في إشرافه علينا
في لمسات البحث، وإلى كل من الوالدين وكل
الآخوة، كما لا يفوتني أن أهدي هذا العمل إلى
أقرب الزملاء زميلي وأخي عبد الوهاب طهاري
الذي كان معي دائما بالنصيحة والدعم والحاج
مكاري الذي لم يبخل علي بتشجيعاته، وإلى
الأقارب وكافة الأصدقاء والناس الخيريين...

مقدمة

مقدمة:

يعد البحث في مجال التاريخ الاجتماعي من أهم المجالات المعرفية المستجدة التي شددت إليها أنظار ثلة من الباحثين والدارسين لتاريخ الغرب الإسلامي عامة والأندلس خاصة، ممن اتخذوا من المجتمع بمختلف تركيباته الإثنية وعاداته وتقاليده وظواهره المختلفة، مواضيعا لدراساتهم التي أثرت الكتابة التاريخية وجردتها من طابعها السياسي، بل وقفزت بها نحو اتجاهات معرفية وتاريخية أخرى جديدة ظلت تشكل وإلى وقت قريب قضايا مغيبة وليس من السهولة بمكان دراستها.

تبدو أبرز هذه القضايا الاجتماعية التي تعكس منعطفات التحول في منحنى البحث التاريخي عامة والاجتماعي خاصة هي تلك الدراسات التي عنيت بالبحث في أخلاق وطبائع المجتمعات الوسيطية خاصة المجتمع الأندلسي. في الوقت الذي عرفت فيه الأندلس تحولات وتطورات في عصر ملوك الطوائف مست الخارطة الاجتماعية وحدثت فيها تغييرات تطلبت الحاجة لمعالجتها والحد منها بآليات وأساليب مختلفة.

أسباب اختيار الموضوع:

أسباب ذاتية: الفضول والرغبة في الاطلاع على الجوانب المغفلة في التاريخ الاجتماعي للأندلس ومحاولة الاستقصاء للحصول على المزيد من المدارك التي تخص المجتمع الأندلسي. والتعرف على أسباب انتشار الآفات والانحرافات وكذا مظاهر التفسخ الأخلاقي...

أسباب موضوعية:

من خلال دراستنا لتاريخ الغرب الإسلامي من جانبه الاجتماعي لفت انتباهنا إلى معالجة موضوع الآفات والانحرافات وذلك للوقوف على أهم الآفات والانحرافات التي كانت منتشرة في المجتمع الأندلسي عصر ملوك الطوائف وأخذ العبرة من الأمم والممالك السابقة.

مقدمة

ونحن في إطار اهتمامنا بالمواضيع التاريخية ذات الصبغة الاجتماعية تبادر الى أذهاننا الولوج الى دراسة موضوع "الآفات الاجتماعية في الأندلس عصر ملوك الطوائف - دراسة في ظاهرة الآفات والانحرافات -"، إذ لا يخفى علينا أنّ المجتمع الأندلسي وعبر محطاته التاريخية المختلفة قد شهد بعض السلوكات والعادات الشاذة ضمن ظرفية تاريخية كان لها دورها الخاص في تشكلها، وانطلاقا مما شهدته الأندلس أثناء قيام دول الطوائف من تطورات أحدثت تغييرا في البنى والقيم الاجتماعية، لذا حاولنا أن نبث فيه من خلال طرحنا لهذا الموضوع انطلاقا من البحث في منطلقات الفكر وأنماط السلوك.

اشكالية البحث:

جاءت الاشكالية الرئيسية بعنوان:

- فيما تمثلت أهم مظاهر الآفات الاجتماعية والانحرافات الخلقية في المجتمع الاندلسي عصر ملوك الطوائف؟

واندرجت تحتها عدة اشكالات فرعية وهي:

- 1- كيف كان تأثير التقسيم السياسي للأندلس على المستوى الاقتصادي والاجتماعي؟
- 2- فيما تجلت تأثيرات الأوضاع السياسية على الانحلال الخلقي لكل من الحكام والمحكومين؟ وما هي أهم مظاهر الانحلال الخلقي التي سادت هذا العصر؟ وكيف كانت انعكاساتها على المنظومة القيمية؟
- 3- ما تأثير الآفات الاجتماعية في الأندلس عصر ملوك الطوائف على المنظومة القيمية؟
- 4- وفي الأخير فيما تمثلت الجهود الإصلاحية والآليات من قبل السلطة السياسية والعلماء للوقوف وللمنع انتشار الآفات والانحرافات في المجتمع الاندلسي عصر الطوائف؟

الدراسات السابقة:

وقد تنوعت الاستفادة من الدراسات السابقة لهذا الموضوع فيمكن إجمالها فيما يلي: بالنسبة للحياة الاجتماعية: دراسة بن خيرة رقية: الآفات الاجتماعية في الأندلس في القرنين (ق 5هـ / 6هـ). ودراسة مريم قاسم طويل، حول غرناطة والمرية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي. وكذلك صلاح خالص، حول التاريخ السياسي لإشبيلية في عهد بني عباد. وهناك دراسة قام بها الباحث بولعراس خميسي، وهي عبارة عن رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي تحت عنوان: الحياة الاجتماعية والثقافية عصر ملوك الطوائف في الأندلس.

المنهج المتبع:

اعتمدت على المنهج التاريخي في رصد ملامح الحياة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية وهو ما تم في الفصل الأول، كما استخدمت آلية الوصف في وصف القيمة الأخلاقية ومظاهر الانحلال الخلقي والآفات لكل من الحكام والمحكومين مع توظيف آلية المقارنة مع آلية التحليل بهدف تحليل الظواهر للوصول إلى أحكام معلة ومنطقية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع وحسب ما توفر لدينا من مادة علمية تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة؛ تضمن الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية السيئة التي ترتبت على الانقسامات السياسية اندرج تحته ثلاث عناصر، الأوضاع السياسية في عصر ملوك الطوائف، الأوضاع الاقتصادية في عصر ملوك الطوائف، الأوضاع الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف.

مقدمة

أما الفصل الثاني: عنوانته بالآفات الاجتماعية والانحرافات في المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، حيث تطرقت فيه إلى أهم مظاهر الآفات الاجتماعية والانحرافات، بالإضافة إلى آثار الانحراف الاجتماعي في الأندلس.

أما الفصل الثالث: فتطرقت فيه إلى الإصلاحات والجهود من خلال السلطة السياسية والفقهاء ومرورا بالفلاسفة والشعراء؛ الإصلاحات السياسية، خطابات الوعظ والارشاد، شعر الحكمة والهجاء خاصة، ومختلف الآليات والأساليب للحد من ظاهرة الانحراف.

عرض وتحليل لأهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في إنجاز بحثي هذا على مجموعة من المصادر التاريخية التي اختلفت درجة استعمالها، كما استأنست بالعديد من المراجع المهمة التي لها صلة بالموضوع، وسأقتصر هنا على أكثرها أهمية وفائدة لهذا البحث.

1- المصادر:

أ- كتب التاريخ:

1- ابن عذاري المراكشي كان حياً خلال (712هـ/1312م): كتابه البيان المغرب في

أخبار الأندلس والمغرب يزخر الكتاب بمعلومات قيمة لأنها مستقاة من مصادر معاشية للحدث إذ أنه مقتبس من مصنفات لم تصلنا مثل ابن حيان وغيرها، اعتمدت خصوصاً على الجزء الثالث منها والمخصص لملوك الطوائف فهو يشير للوضع الاجتماعي والسياسي للأندلس في عهد ملوك الطوائف.

2- ابن الخطيب لسان الدين (776هـ/1376م): أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل

الاحتلام من ملوك الإسلام، وهو موسوعة في التاريخ العام للعالم الإسلامي ويتضمن تاريخ الأندلس من الفتح إلى عصر المؤلف أي القرن (8هـ/14م)، وهو

مقدمة

محقق من طرف ليفي بروفنسال، احتوى على الكثير من المعلومات الخاصة بملوك الطوائف.

3- **المقري شهاب الدين (1041هـ/1632م):** كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، يعد مصنفه من الموسوعات التاريخية العظيمة، إذ احتوى على الكثير من المعلومات عن تاريخ الأندلس، أفادنا الكتاب في استقاء بعض المعلومات التاريخية الخاصة بالحياة الاجتماعية والثقافية في الأندلس.

ب- كتب التراجم:

1- **ابن بشكوال خلف بن عبد الملك (578هـ/1183م):** في كتابه الصلة الذي كان فيه ابن بشكوال معاصرًا لملوك الطوائف وخاصة علماء هذه الفترة، وقد استفدنا منه في ترجمة الشخصيات.

2- **ابن سعيد المغربي (685هـ/1286م):** كتابه المغرب في حلى المغرب يتضمن جزءين، تحقيق ضيف شوقي استفدنا منه في بعض الإشارات الاجتماعية.

ج- كتب النوازل والفقه:

1- **ابن سهل أبا الأصبغ عيسى (486هـ/1093م):** له كتاب ضم ثلاث وثائق في محاربة الاهواء والبدع اعتمدنا على بعض أحكام هذا الكتاب التي نُشرت وحققت من طرف محمد عبد الوهاب خلاف، أفادني في بعض القضايا الفقهية والمشاكل الاجتماعية التي طبعت المجتمع الأندلسي.

د- كتب الحسبة:

اعتمدنا على رسالة في القضاء والحسبة لابن عبدون الأشبيلي الذي عاش في القرن 6هـ، وقد بين لنا هذا الكتاب ما كان عليه المجتمع الأندلسي في المعاملات في البيوع والصناعات، والمهن والحرف التي كانوا يمارسونها.

هـ - الكتب الأدبية:

- 1- ابن بسام الشنتريني(542هـ/1148م): اعتمدت على كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، وهو موسوعة تاريخية أدبية تتضمن تراث القرن(5هـ/11م) احتفظ لنا ابن بسام بالكثير من المعارف والمعلومات حول ملوك الطوائف، وقد استفدنا منه من الناحية الأدبية، وكذا الأحداث التاريخية إبان القرن(5هـ/11م).
- 2- ابن حزم كتابه طوق الحمامة: أفادنا كثيرا في بعض الملامح الاجتماعية كالمرأة والمهن، فهو شاهد على العصر.
- 3- صلاح خالص، كتاب إشبيلية في القرن(5هـ/11م): وهو عبارة عن دراسة لإشبيلية في عهد بني عباد، أفادنا في بعض الإشارات الاجتماعية عن إشبيلية والتقسيم الطبقي للمجتمع.
- 4- مريم قاسم طويل: كتاب غرناطة في عهد بني زيري البربر، دراسة شملت الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني مكنتنا هذه الدراسة من الاطلاع على الواقع الاجتماعي لغرناطة.
- 5- أحمد بن عبود: التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف وقد أفادنا في الدراسة الاجتماعية كثيرا.
- 6- محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي هذا الكتاب جزء من كتاب ضخم يتناول دولة الإسلام في الأندلس، خصص العصر الثاني لدول الطوائف، استفدنا منه في بعض الاشارات الاجتماعية من الصراع عن السلطة وكذا فساد الحكام في جزئه الثاني.

الصعوبات:

وقد واجهتنا أثناء إنجاز هذا البحث صعوبات تمثلت في قلة المادة العلمية وصعوبة التعامل مع البحث، كما تكمن صعوبة البحث في شح المادة التاريخية إذ أن المؤرخين ضربوا صفحا

مقدمة

عن الموضوع إلا عبر إشارات متفرقة بين الكتب، وأمام هذا النقص دعت الحاجة إلى العودة إلى كتب الحسبة والنوازل الفقهية وهذه الأخيرة تتطلب أهلا للاختصاص حتى يتسنى فهمها. إضافة إلى أنها تطلبت جهدا ووقتا كبيرا وهذا تعارض مع ارتباطاتي المهنية، الا أنني حاولت تجاوز هاته العقبات لإتمام هذا العمل المتواضع جدا.

الفصل الأول:

أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

أولاً: الأوضاع السياسية عصر ملوك الطوائف

تؤكد مصادر فترة موضوع البحث أن ضعف ملوك الطوائف وفسادهم أدى بهم إلى ممارسة سياسة الانبطاح وجعل من بلادهم اكلة صائغة لملوك النصارى؛ فتهافت بعض الملوك الضعاف إلى التحالف مع ملوك النصارى والمضي في سياستهم التوسعية على حساب المسلمين، الأمر الذي أدى إلى احتدام الصراع بين دول الطوائف. كما في الحرب التي وقعت بين ذي النون وسليمان بن هود (437هـ/1045م) الطامع في الاستيلاء على السلطة وتوسيع نفوذه¹.

فكان ملوك الطوائف أحياناً يغدقون على ملوك النصارى بالهدايا والعطايا لمد أواصر الصداقة والمحبة، سعياً منهم للتحالف مع غير المسلمين من أجل تقوية سلطانهم، في الوقت الذي أعلن فيه عن نهاية حكم الخلافة الإسلامية في الاندلس وقيام دول الطوائف، فأخذت الحرب أشدها ولم يستتب الأمر حتى قامت الدولة المرابطية. وفي ظل هذه الظروف تمكن النصارى في كثير من المرات من الاستيلاء على بعض ثغور المسلمين بعد أن كانت تحت راية الإسلام لفترة قاربت الأربعة قرون².

يذكر أن حرب المأمون بن ذي النون دامت أكثر من عشرين سنة أي حتى 456هـ/1062م، حيث استغل الملك فرديناند هذه الحرب لجمع قواته لإعادة ضرباته والتضييق على أمارات الطوائف والتي عرفت حالة من التشتت والانشقاق، وكان فرديناند مندفعاً بحماس ديني وروح قتالية عالية، الأمر الذي افتقده المسلمون وعاشوا فترة من الهوان حيث استعانوا بالنصارى على بعضهم البعض؛ وتعد هذه الظاهرة آفة كبرى عرفها التاريخ الإسلامي حيث تعتبر مخالفة لأوامر الله (موالاة النصارى) حيث أدرك فرديناند والنصارى

¹ ابن عذاري المراكشي أبو محمد بن عبد الله (712هـ/1313م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، مر، ج. س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج3، ص 277.

² بن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله السلماني (776هـ/1374م)، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - تاريخ إسبانيا الإسلامية، تح، ليفي بروفنسال، دار المكشوف بيروت 1956، ص178.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

أهمية استغلال هذا الوضع، وعلموا انه للإطاحة بالمسلمين لابد من استنزاف اموالهم وسلبهم حصونهم وقلاعهم، وعليها يأخذ البلاد بلا مشقة والأمر كان كذلك¹. وحرب المأمون ما هي إلا مثال عما كان يعيشه المسلمون آنذاك، وعن الحالة التي آلت إليها الاوضاع السياسية في الاندلس خاصة زمن الطوائف.

قد كان فساد الحكام ظاهرا للعيان وزاد مع بداية قيام دول الطوائف. اذ كتب كثير من المؤرخين عن الجانب الأسود للحكام، جانب الفساد والترف وإهمال الرعية وإراقة الدماء وموالاته النصاري والصراع والتنافس عن السلطة. حيث أن فساد الحكام كان ولا شك نذير شؤم لضياح الحكم وأفول الحضارات.²

عوامل الضعف السياسي في عهد الطوائف:

أ - الصراع عن السلطة:

يعد الصراع عن السلطة من أشد الأمور المذهبات للملك، فصارح ملوك الطوائف عن الحكم وسياستهم التوسعية على حساب بعضهم البعض جعلت من دولة الاندلس لا تقوى على الدفاع عن نفسها من الاخطار الخارجية اذ انهكتها الصراعات الداخلية والتي دائما ما كان يشوبها الكثير من الاغتيالات.

عاشت الاندلس بعد زوال الخلافة وانتهاء حكم أسرة بني عامر سنوات ضنكة، سادها التنافس في ظل وجود مجموعة من المصلحين الذين حاولوا استعادة الخلافة وارجاعها لسابق عهدها (422هـ/1031م) إلى أن قامت دول الطوائف وتصدع ذلك الصرح الشامخ³.

¹ فضيل بو الصوف، العلاقات السياسية بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة الجزائر، السنة الجامعية (2010/2011). ص 35.

² رامز اسماعيل طه الحلبي، رسالة عن سقوط الاندلس . بحث تكميلي (عوامل سقوط الاندلس) . "فساد الحكام". قسم التاريخ، جامعة غزة فلسطين، 1436هـ/2015م، ص 122-138.

³ نفسه ، ص 144.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

سقطت الخلافة الاموية في الاندلس وتشقت شمل الاندلسيين، وغرقوا في حالة من الشدة والصراعات المحمومة... فحكم كل جهة حاكم؛ فجهة حكمها حاكم سابق، وجهة زعيم أسرة محلي، وسيطر البربر على جهة أخرى. وأنشئت امارات سرعان ما قامت الحرب بينها، قامت هاته الدول على أنقاض الخلافة الاسلامية (دولة الاندلس) القرن الخامس هجري وحتى الفتح المرابطي فيما عرف بعهد الطوائف الاول.

ولعل أهم ما ميز هذا العصر كثرة الحروب الأهلية والتنافس والفتن... وانعدام الأمن وتدهور الاقتصاد، فسادت الأحوال الاجتماعية وشاعت الآفات والانحرافات بكل أشكالها¹.

وكانت دولة بني جهور اول دولة رئيسية من دول الطوائف، ونتيجة الصراع يذكر أنه بعد هذا التنافس غير الشريف بين الأشقاء للصراع عن السلطة، ووصل الامر إلى الاقتتال كقتل الوزير ابن السقاء. وبعد فساد الأمر بدأ الطامعون من ملوك الطوائف بمحاولة السيطرة عليها مما دفع عبد الملك إلى الاستعانة بالمعتمد بن عباد وأنهوا حكم بني جهور².

وصل الامر ببعض الحكام الفاسدين إلى أكل اموال الناس بغير حق والاقتتال وغاب الأمن وانتشرت الرذيلة وشاعت الانحرافات كشرب الخمر... هذا التدافع عن الحكم أنهى صفحة مجيدة من صفحات التاريخ الاندلسي ونهاية دولة بني جهور ووزيرها بن جهور وولده محمد. يضاف إلى أنه بعد ان استتب الامر لبني عباد وملكوا اشبيلية سعوا للتنافس على الحدود مع ممالك الطوائف الاخرى³.

اما فيما يخص معاملة أبو القاسم محمد بن عباد(431- 488هـ/1040- 1095م) اعتبرت الاشد ظلما وتعسفا لما قام به من الأفعال الشنيعة والمشينة، كل هذا في صراعه عن السلطة. وبفعله وافعال أمثاله الذين عجلوا بسقوط الأندلس وزوال ملكها. وتضرب في هذا

¹ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ج2 ص 677.

² رامز اسماعيل طه الحلبي، المرجع السابق، ص147

³ ابن خلكان أبو العباس محي الدين أحمد بن محمد(681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح، إحسان عباس، دار صادر بيروت، د. ت، ج 5، ص 23. / ينظر: رامز اسماعيل، المرجع السابق، ص 147.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

الباب قصص وعبر في الخيانات والغدر وعن غياب الشريعة وتعاليمها¹. كصرع المعتمد بن عباد وابنه اسماعيل وصرع عبد الله بن محمد بن الافطس وبني عباد وحرب الأشقاء الغير منتهية².

ب/ من مظاهر فساد الحكام نجد.

المعتمد بن عباد (431هـ/1038م)

اعتبر من الملوك الفضلاء والشجعان، عفيف السيف والذيل كما وصف. إلا أنه كان مولعا بالخمير منهمكا في الملذات محبا للدعة ما ادى به إلى هلاكه³. ولشدة انغماسه في الخمر تغنى به:

أيها الصاحب الذي فارقت عيني ونفسي منه سنا والنساء

نحن في المجلس الذي يهب الراحة والمسمع الغنى والغناء

نتعاطى التي تنسيك في اللذة والرقّة الهوى والهواء⁴

ابن الآبار وصف المعتمد بصفات العظمة والجلال، ثم يتطرق إلى أنسه وطربه ومعاقرته للخمير. هذا الامر مدعاة للفساد إذا كان لا بد للحاكم ألا يقع في هذا الامر ويفسد بذلك تاريخ عظيم لإمارة من الامارات الاسلامية.

المأمون بن يحيى بن سماعيل (435هـ/1043م)

¹ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج2 ، ص2.

² ابن الخطيب، اعمال الاعلام ، ص 184.

³ ابن الآبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: 658هـ)، الحلة السيرة، تح، حسين مؤنس دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج2، ص 54.

⁴ المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م. ج4، ص 281.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

حكم حوالي ثلاثا وثلاثون سنة، ويعد من الملوك المترفين اذ بنى مجلسا يسمى "بالمكرم"، ومن ترفه ان خرم في جثمانه صور لبهائم وأطيّار وأشجار ذات ثمار. حيث أنفق اموال طائلة للأبهة والتعالي على رعيته، وهذا ما دفع بأعدائه ان يتربص به الدوائر من كل جانب. ما يؤكد فساد أمره وفساد خلقه اذ عد مجلسه معيبة من معائب التاريخ¹.

القادر بن ذي النون (467هـ/1075م)

تولى الحكم سنة 467هـ ولقب بالقادر بالله ومما اشتهر عليه انه كان فاسد الخلق والطباع وتولى امره نساء القصر وأضحى وراء هوى الغانيات وأحاطت به بطانة السوء فأوغروا صدره على وزيره على وزيره أبي بكر بن الحديدي فسمح لهم باغتياله في مجلسه وعلى مرأى منه سنة 468هـ/1076م.²

وفي تلك الظروف ثارت العامة على القادر وضايقته ففر هاربا ومستتجدا باذفونش ملك قشتالة ليعينه على دخول طليطلة واسترجاع ملكه بها فأجابه ثم غدر به بعد أن دخل المدينة فاستولى عليها سنة 478هـ/1085م.³ فبهذه الصفات الذميمة خرب القادر ملكه وضيع البلاد والعباد، حيث انتهى أمره مخفور الذمة ذليل الحرمة ليس دونه باب ولا دون حرمة ستر وطاف به النصاري يضحكون على جهله. وسرى امر الله فيه قال تعالى " ...وان تتولوا يستبدل قوما غيركم..."⁴

محمد بن يوسف بن النصر بن الاحمر في غرناطة (595هـ/1198م)

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن النصر بن الاحمر كانت أيامه ثلاثا واربعين سنة⁵. كان مدبرا حازما ذا دين وعفاف... هزم بن هود ثلاث مرات، ولم تكسر له راية قط. وبالرغم من

¹ رامي اسماعيل، المرجع السابق، ص143.

² ابن الخطيب، أعمال الاعلام، المصدر السابق، ص 178-182.

³ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص441.

⁴ سورة محمد، الآية 38.

⁵ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص1490.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

تلك الصفات الحميدة لابن يوسف بن النصر الا أنها لم تمنعه في أن يكون من أسوأ نماذج الفساد السياسي لدى الحكام، فهو الذي وقع اتفاقية مذلة مع ملك قشتالة فرناندو الثالث، وتنازل بموجبها على حصون جيان وأرجون.¹ ودفعه للجزية لهذا الأخير وحضوره مجلس قشتالة "الكورتيس"، وكذا حكمه لغرناطة باسم ملك قشتالة علانية.²

والباحث في التاريخ يرى بأم عينه كيف كان بن يوسف بن النصر أشد حزماً وعزماً في حروبه مع ابن هود، على النقيض من ذلك كان أكثر موالاة ورقة مع فرناندو الثالث الذي أظهر اذلاله له ووصل الحال به إلى أن عقد اتفاقية صلح وحكم غرناطة باسم فرناندو. ما يلخص حالة الذل والهوان في سياسة بعض ملوك الطوائف مع النصارى.

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية

لقد كان لسوء الأوضاع السياسية كبير الأثر في إضعاف القوى الاقتصادية، وذلك لأن في هذه الفترة سعى ملوك الطوائف لجمع الأموال والتقرب بها إلى ملوك النصارى من أجل التحالف عن طريق الإهداءات والعطاءات.

كما أدت الصراعات على السلطة وتوسيع الحدود على حساب الممالك المجاورة من دول وإمارات الطوائف إلى إضعاف الأمة الإسلامية، حيث انعدم فيها الأمن وتكدست التجارة بسبب قيام الحروب، وتقطع سبل التجارة وأحياناً بسبب سياسة الضرائب المجحفة في حق الفلاحين خاصة. كما أضر فساد الحكام بالسكان وغياب العدالة الاجتماعية واهتمامهم بالحروب والسياسة (الصراع على السلطة) الأمر الذي ساعد على انتشار الكثير من الآفات والانحرافات.

¹ ابن خلدون عبد الرحمن (808هـ/1406م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج7، ص 190.

² عبد الله عنان، دولة الإسلام في الاندلس، المرجع السابق، ج5، ص 42.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

فاتسم عصر الطوائف بالركود الاقتصادي المستمر، وتميز عصرهم بانعدام الاقتصاد، وغابت معه السياسة الاقتصادية لدول الطوائف. وهذا نتيجة التنافس والصراع الداخلي والحروب الاهلية، الأمر الذي انتشرت على أثره الآفات والانحرافات¹.

يذكر أنه اجتمعت العديد من العوامل أضرت باقتصاد امارات الطوائف، فالتكامل القائم بين الأحوال السياسية والجانب الاقتصادي حتم فرضية تأثر الاقتصاد بالعوامل السياسية، فالتأثيرات المتتالية التي مست السياسة الحاكمة اضرت معها باقتصاد البلاد.

فاعتماد دول الطوائف على اقتصاد غنائم الحرب والضرائب التي تفرضها الدولة على الرعية وكذا المصادرات². أدى إلى انهيار البنية الأساسية بقيام الحروب وبدأت الازمات الاقتصادية وانتشرت الكوارث والآفات.

وفي فترة الحروب والفتن زادت نفقات الحرب على ما كانت تغنمه الدولة في عصر الطوائف...³. وفي ظل الدور الثانوي الذي لعبته الزراعة ولأسباب سبق التطرق إليها كالضرائب الباهظة والتخريب المستمر الذي طال الضياع وانتشار اللصوصية وقطاع الطرق والسرقة واختلاس المال نتيجة فساد الادارة المالية، حينها طرحت مسائل فقهية (نوازل فقهية) كمسائل الغصب والتعدي...

ونتيجة الانتقال الذي حصل من فترة الخلافة إلى دول الطوائف الامر الذي خلخل نظام ملكية الارض، وصاحبه الصراع على الحدود لتوسيع السيطرة على الضياع الخصبة⁴.

¹ محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي: دراسة شاملة في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، دار الوحدة العربية، بيروت، 1999. ص88.

² إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الاسلامي، ص 27.

³ المرجع نفسه، ص27.

⁴ أحمد الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس عصر بني عباد، من نظام التثمين التعاقدى الى نمط الانزال القطاعي، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2004، ص29/ ينظر ايضا: بن خيرة رقية: دراسة في ظاهرة الانحراف، المرجع السابق، ص94

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

كما لا يمكن اغفال مبدأ الغنيمة الذي تبنته دول الطوائف منذ قيامها، فكانت الحملات العسكرية ذات غايات اقتصادية حركتها ضرورة توسيع المجال الجغرافي¹.

كما طالت أيضا أعمال المصادرة والغصب بيت مال المسلمين في مملكة اشبيلية حيث نهب اسماعيل بن المعتضد بن عباد دار الملك كما جاء في نوازل ابن الحاج (ت529هـ/1134)²، بالإضافة إلى النوازل التي تناولها ابن رشد والونشريسي حول سعي الدولة إلى تثبيت سيطرتها السياسية³. ان التحول الحاصل في دول الطوائف أدى إلى تغيرات اقتصادية كبيرة من حيث ملكية الارض و من حيث انتاج الدولة وادى حتى إلى التأثير على الاوضاع الاجتماعية التي آلت إليها نتيجة هذا التضعع والتراجع في اقتصاد امارات الطوائف حيث خلف العديد من الآفات والانحرافات من السرقة إلى اللصوصية، ظاهرة السطو والغش في الاسواق...ومن جهة فساد الحكام أدى إلى ترف الطبقة الحاكمة فشاع شرب الخمر واقتناء الجواني والتحالف مع النصاري والغدق عليهم بالعطايا والهدايا في سعي من الحكام للسيطرة على الامارات والممالك المجاورة من دول الطوائف. فطبع الترف ملوك الطوائف، فأفقدتهم طرق ترشيد سياستهم الاقتصادية ما انعكس سلبا على الادارة الاقتصادية (خاصة الجباية - الضرائب الباهظة) التي كانت في تزايد لتعويض العجز المالي. وهذا ما اورده ابن عذارى حول الضريبة المجحفة المتبعة من ملوك الطوائف على الساكنة⁴.

¹ ابن الآبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي) ت: 658هـ، الحلة السيرة، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج2 ص 18، ينظر: ايضا المقري، نفح الطيب، ج3، ص 366.

² ابن الحاج التجيبي (ت529هـ/1134)، نوازل ابن الحاج التجيبي، تح، أحمد شعيب اليوسفي، ط1، مطبعة تطوان، المغرب، 2018، ص 182 - 186.

³ ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد (ت520هـ/1126م)، مسائل أبي الوليد ابن رشد، تح، محمد الحبيب التجكاني، ط2، دار الجيل، دار الافاق الجديدة، بيروت، المغرب، 1993. ج2، ص 1240 / ينظر: الونشريسي، المعيار، ج9، ص 540.

⁴ ابن عذارى المراكشي أبو محمد بن عبد الله (ت712هـ/1313م)، البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب، تح، مر، ج. س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج3، ص 162.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

صاحبت الحملات العسكرية جملة من الاعمال التخريبية كما تذكر كتب تاريخ الاندلس، كالحرب التي دارت بين المتوكل بن المظفر والأفطس (ت487هـ/1094م) والمعتضد بن عباد، لم يتورع هذا الأخير عن تدمير امارة بطليموس وافساد غلاتها¹. وكذا اسفرت غارات اذفونش على موضع المقاطع من اشبيلية سنة (498هـ/1104م) حيث سلب تلك القرى الغنائم الموفرة والاسلاب الكثيرة، وصاحب خروج النصارى إلى اشبيلية في سنة (524هـ/1129م) احراق الزروع وقطع الاشجار...²

لقد اثرت الحروب وما صاحبها من فوضى وتخريب بشكل كبير على المنظومة الاجتماعية ونظمها الاخلاقية خاصة ما ادى إلى انتشار الآفات والانحرافات التي سيأتي التفصيل فيها في الفصل الثاني. وكانت النتيجة الرئيسة التي انتجتها الحرب الاهلية عصر ملوك الطوائف، حيث عاث الفساد وانعدم الامن وهش الاقتصاد وتدهورت على أثره الاحوال الاجتماعية.

الجدير بالذكر انه خلال عصر دول الطوائف غابت جملة من المقومات أو نقول بالأحرى كانت اشارات عديدة تدل على تدهور الحالة الاقتصادية، اذ لم توجد عملة ذات قيمة ثابتة حيث تداولت عملات من الفضة الرديئة أو النحاسية، وهذا فيه اشارة قوية على النكسة الاقتصادية التي عاشها المسلمون في الاندلس عصر الطوائف. وساعد تسلط النصارى على المسلمين في حروبهم إلى اضمحلال الحياة الاقتصادية، أضف إليها فساد الحكام والوزراء وتسلطهم على اموال الناس بطرق شتى من بينها فرض ضرائب غريبة وجديدة على الساكنة ما عجل برحيل الكثير منها إلى خارج أسوار الاندلس. ومن الوزراء ابن

¹ بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية في الاندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (11-12م). دراسة في ظاهرة الانحراف - اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ الغرب الاسلامي، جامعة معسكر. السنة الجامعية (2016/2017م). ص99.

² ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 8345.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

السقاء الذي اساء استعمال السلطة¹. اذ لم يكن هذا السلوك متعلقا بابن السقاء فقط فشاركه في هذا الكثير من الملوك والوزراء مثل أبو محمد البطليوسي الذي وصفه ابن بسام (ت 542هـ/1180م) بأنه: "أحد عفاريت الظلال وأكلة الأموال ،من أجراً خلق الله على دم .."².

وكان لحرص ملوك الطوائف ووزرائهم على جمع الاموال الدور أيضا في تدهور الاوضاع الاقتصادية حيث دفع الحرص ببعضهم إلى ان ثارت عليهم الرعية وخرجوا عليهم في حروب وثورات، كموقف أهل طليطلة من القادر بن ذي النون حيث قاموا بثورة ضده عام(472هـ/1079م) في الوقت الذي يبالغ في فرض الضرائب على الرعية، يشتد البلاء وتسوء احوال الرعية حيث تحاصر المدن والشعور من الاعداء سواء كانوا مسلمين أو نصارى او ما يحدث بين الممالك الاسلامية فيتضاعف الغلاء وينتشر الفقر وتسوء المعيشة وتكثر الفتن وتظهر الآفات...³

وفي الأوقات التي شهدت استقرارا نسبيا عرف الاقتصاد نشاطا في مختلف الجوانب، زراعية كانت او صناعية أو تجارية، ففي عهد ملوك الطوائف أقاموا الجسور والقناطر ونظم الري. واشتغل الناس بالزراعة حتى عدت عصب الاقتصاد حينها. لكن هاته الحركة النشطة سرعان ما تسوء بفعل اشتداد الحروب والفتن والثورات؛ حيث تأرجحت بين الازدهار والانحطاط على حسب الأحوال السياسية، واوقات السلم والحرب والاضطرابات وبشيوع الآفات والانحرافات كاللصوصية وعند استتباب الأمن احيانا. إلى ان جاءت دولة المرابطين وأعادت ترتيب الأحوال واعادتها إلى سابق عهدها في الاندلس⁴.

¹ أحمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم - عصر ملوك الطوائف في الأندلس - ، مجلة البيان، الرياض، 2002.ص 230 - 236.

² ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542هـ) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1979، ص 159. ينظر: بن خيرة رقية: دراسة في ظاهرة الانحراف، ص 99.

³ أحمد بن صالح السحيباني، المرجع السابق، ص 238.

⁴ المقري، نفح الطيب، ج3، ص 374. ينظر: الإدريسي حمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت 560هـ/1165م) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب، بيروت، 1988، ج1، ص 239.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

نخلص إلى ان أبرز الأسباب التي أدت إلى تقهقر الحالة الاقتصادية هو سياسة أمراء الطوائف المليئة بالجشع وسوء التسيير ما أدى إلى إهمال الجانب الاقتصادي والتركيز على اقتصاد المغازي، وأدى فساد الحكام إلى معاناة الرعية والمجتمع الاندلسي من الفقر والظلم والهجرة وغيرها...، اضافة إلى تجرؤ ملوك النصارى على الممالك الاسلامية،

في حين انغمس الحكام في الشهوات وأمراض النفوس كالترف وانتشرت الخلاعة والآفات الغريبة في وسط المجتمع الاندلسي والانحرافات الخلقية حكما ومحكومين. حيث عمت السرقة واللصوصية وقطع الطريق والتعدي والغصب والغش في الاسواق وآفة معاقرة الخمر... الخ.

لقد برزت عديد الحواضر في عصر الطوائف التي كان لها ثقل سياسي واقتصادي هام كإشبيلية وبلنسية ومرسية وغرناطة وسرقسطة خلال القرنين الخامس هجري والسادس. حيث نشطت حركة التصنيع والتجارة واستتباب للأمن في دولة الاندلس¹.

أبرزت المتغيرات الاقتصادية التي شهدتها الاندلس عصر الطوائف عدة تأثيرات هامة على ظاهرة الانحراف، وهو ما أوضحته عديد الرسائل الاندلسية المؤلفة في خطة الحسبة، والتي أثبتت ضلوع هذه المتغيرات في تغييب أنماط سلوكية وقيم أخلاقية لصالح سلوكيات انحرافية جديدة². ما يؤكد وجود علاقة وطيدة بين المتغيرات الاقتصادية وموضوعنا محل الدراسة الآفات والانحرافات في المجتمع الاندلسي عصر الطوائف حيث عرف المجتمع ظواهر عدة كظاهرة الغش مثلا وكتب الحسبة مليئة بها وذلك لحجم شيوعها. فالاختلال الحاصل في الحياة الاقتصادية هو الدافع إلى الانحرافات إلى جانب الصراعات والحروب والأمن³. وكان من البديهي سيطرة النصارى على أهم الحواضر والمراكز ذات الخصائص التجارية أن يسهم في تردي الأحوال الاقتصادية للإمارات الاندلسية، وخير دليل على هذا ما

¹ صالح خالص، اشبيلية في القرن الخامس هجري، دار الثقافة، بيروت، 1965. ص 52.

² بن خيرة رقية، الآفات والانحرافات، ص 103.

³ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 434.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

يشير اليه الادريسي بشأن تغلب الروم على المرية سنة 521هـ / 1127م بقوله: "... وصارت بأيدي الروم غيروا محاسنها وسبوا أهلها وخربوا ديارها وهتكوا مشيد بنيانها ولم يبقوا على شيء منه"¹. ووصفها ابن غالب بأنها كانت مفتاح التجارة وباب للرزق.

ثالثا: الأوضاع الاجتماعية:

أدى التقارب الجغرافي للاندلس "ممالك الطوائف" بالممالك النصرانية الى تكوين مزيجا متنوعا للمجتمع الاندلسي، حيث تألف من عناصر بشرية كل بخصائصه وتأثيراته وعند تطور الاحوال السياسية في ملوك الطوائف عمت الفتن والفوضى، وطبع على المجتمع طباع النصارى هاته الاخيرة كانت نتاج الاختلاط عن طريق التجارة و التسامح الديني الذي عرفه الاندلس.

والذي يمكن قوله حول الاوضاع الاجتماعية أنها تأثرت بحالة اللامن والاستقرار التي أضرت بالساكنة، وخلال فترة حكم ملوك الطوائف تعرض المجتمع لحالة من الاضطراب في ظل التكالب عن السلطة والتنافس الغير المنتهي، فانطبع المجتمع الاندلسي بجملة من التغيرات في طبقاته؛ فوصف المجتمع في القرن الخامس هجري الحادي عشر للميلاد (5/11م) خضع لعدة معايير برزت خلال ذلك العصر كمعيار حيازة الارض والاقطاعات من ذوي النفوذ السياسي، وكذا الجاه والمال وحتى المستوى المعيشي (الوظيفة والدخل)، هذا التصنيف يجعل من اختلال النظم الاجتماعية والتمايز بين عناصره امرا حتميا، والذي سيولد آفات وانحلالات لا مناص منها². فتألفت الطبقة الخاصة المكونة من ملوك الطوائف وكبرى عائلات الاغنياء، والطبقة العامة التي تألفت من كبار التجار، وطبقة العبيد. هذا التكوين يرجع أصله إلى البربر مملكة الزيربين في غرناطة، والعرب كما في ممالك اشبيلية

¹ الادريسي، نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 198.

² بوتشيش، مباحث في تاريخ الاندلس، المرجع السابق، ص 43.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

وسرقسطة، والصقالبة في دانية والمرية (حيث كان بعض الرؤساء من العبيد الذين نجحوا في الاستيلاء على السلطة)¹.

هاته التركيبات العرقية المختلفة أعطت باختلاف اصولها وأديانها صفات خاصة طبعت المجتمع الاندلسي عصر الطوائف. ولما ساءت الاحوال الامنية تحتم وجود تركيبات طبقية في حكومة ملوك الطوائف ما صعبت ضبط الامور واتسعت الهوة وانتشرت الانحرافات فعم الفقر والظلم والتعدي على أموال الناس².

1. مكونات المجتمع الاندلسي عصر الطوائف.

أ/ الطبقة الخاصة:

وشملت على الطبقة الحاكمة واصحاب الوظائف وكبار الأغنياء، استحكمت وبسطت نفوذها السياسي والاقتصادي في الاندلس³. كأسرة بني زيري في غرناطة، كما يذكر ابن بسام الشنتريني انه ظهر ببلنسية طبقة خاصة ثرية من الوزراء والصقالبة وهي طبقة مترفة⁴. بالإضافة إلى طبقة العلماء والفقهاء حظيت ايضا بمكانة رفيعة في المجتمع⁵.

ب/ الطبقة العامة:

ضمت كبار التجار واصحاب الاعمال والانشطة، اختلف مستواهم المعيشي باختلاف مهنتهم⁶، وارتبطت مصالحهم بالطبقة الارستقراطية وأعاقتهم ظروف حالت دون حصولهم على ثروات ضخمة⁷. هذه الطبقة تمثل السواد الاعظم الا انها عانت الظلم والتهميش

¹ الجيوسي سلمى الخضراء، الحضارة العربية، ج2، ط1. ص 978.

² المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص128.

³ صلاح خالص، اشبيلية القرن الخامس هجري، المرجع السابق، ص 46.

⁴ الشنتريني، الذخيرة، المصدر السابق، مج1، ص211.

⁵ الجيوسي، المرجع السابق، ص978.

⁶ مريم قاسم طويل، حول غرناطة والمرية في القرن الخامس والسادس، المرجع السابق، ص83.

⁷ صلاح خالص، اشبيلية القرن الخامس هجري، المرجع السابق، ص 50.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

وتحملت الاضطرابات واللامن. يذكر ابن عذارى " حتى لعدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش¹، وعانت هاته الفئة من المجتمع شتى ضروب الظلم والاضطهاد.

ج/ طبقة العبيد:

كانت هاته الطبقة مكونة لحركية المجتمع الاندلسي، حيث كان لها دورها في دينامية المجتمع ترجع اصولها من العبيد السلاف والرقيق الذين بيعوا لعرب الاندلس، أطلق عليهم لفظ الصقالبة وتربوا تربية عسكرية في الاندلس، واستخدموا كحرس وعمالا في القصور². ففي عهد ملوك الطوائف لم تخل دار من أصحاب الطبقات المستحكمة منهم، وكان الخصيان منهم يستخدمون في خدمة الحريم عند الامراء والحكام³.

هذا الوصف الموجز للحياة الاجتماعية في الاندلس عصر ملوك الطوائف والذي اتسم بالتفاوت الطبقي بين فئاته؛ الامر الذي شكل نسيجا متدهورا وجوا مضطربا، ميزته الطبقية بين الغنى الفاحش والفقر المدقع والفساد وانتشار الانحرافات والآفات ما أدى إلى خلق فوضى اجتماعية صعب فهمها وحتى كيف انتقلت وتسربت للاندلس في ظرف وجيز...

اذ لا ننكر ان بعض المدن عرفت نوعا من الاستقرار والازدهار الصناعي وبدرجات أقل ما كان في الأرياف التي عرفت تشردا في ظل الفوضى العارمة والحروب الطاحنة، وسياسة الملوك الفاشلة، وفي ظل هذه الظروف لم يتوانى ألفونسو السادس في استغلال الوضع الحاصل وتذمر الرعية من سياسة ملوك الامارات فاتخذ سياسة معادية مع المسلمين⁴. ولعل أهم ما ميز هاته الفترة تغييب شبه تام للطبقة العامة في اتخاذ القرارات

¹ ابن عذارى، البيان، المصدر السابق، ج3، ص106.

² أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت، ص 256.

³ بن مليح عبد الله، ظاهرة الرق في الغرب الاسلامي، ص32.

⁴ امجد بن عيود، جوانب من الواقع الاندلسي، ص59.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

السياسية، وبحكم أن الطبقة العامة شكلت الاغلبية فمنها أتى الشر وتولدت الآفات والانحرافات في أوساطها. وتوسعت دائرة الفوضى مع تعدد الاثنيات مع تعدد الموردرات من العادات والتقاليد خاصة الواردة من ممالك النصارى المجاورة غيرت هاته الاخيرة من ملامح المجتمع وأدت إلى ظهور تبدلات وانحرفت الاخلاق وكثرت الآفات في أوساط المجتمع.

في حين تشير عديد الكتابات إلى وجود محاولات حثيثة سعت لتكوين لحمية متعايشة محافظة على شخصيتها مع مراعاة تعدد الاثنيات، إلا أن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية كانت من محددات السلوك الاجتماعي وكانت وراء ظهور ما عنوانه الآفات والانحرافات في المجتمع الاندلسي عصر الطوائف...¹.

2. الحياة الاجتماعية وعلاقتها بالانحراف.

الانحراف في المجتمع الاندلسي تولد نتيجة تحولات وتطورات خاصة خلال القرنين الخامس والسادس هجريين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد وما شهدته هذان العصران من تناقضات، واول هاته التطورات أثر التمازج الاثني الذي سبق وان تطرقنا اليه. فالتركيبة الاجتماعية على عهد ملوك الطوائف من عرب وبربر وصقالبة أضف إلى المتأسلمون والمولدون وكذا اليهود، وتأثير هاته التركيبة على المنظومة الاجتماعية الهشة المنكسرة والمضطربة نتيجة تدهور الاقتصاد وسوء السياسة فتدفقت وانتقلت السلوكات الشاذة والعادات السيئة إلى المجتمع الاندلسي المغايرة لعادات واصول المجتمع.

في حين يذكر أن الصراع الاثني كان المحرك الاساسي ومثل قوة منعشة للمجتمع "المعارضة بين العرب وغيرهم في عهد الطوائف" وهو رأي الباحث ببيير غيشار. ويؤكد آخرون أن هذا التأثير كان قائما في الجانب السياسي فحسب ولا يفسد لحمية المجتمع بتعدد اثنياته؛ أي انه كان مجتمعا منصهرا وزالت كل الفوارق بينه يوافقه الرأي ما جاء في ترجمة للعلماء في كتب الطبقات والتراجم حيث انها ربطت انتماءاتهم على اساس الجغرافيا أي

¹ احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، 203. 235.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

المجال الجغرافي (المكاني) لا لانتماءاتهم العرقية وكما انتسبوا إلى مدنها وجاءت أسماء منهم كالسرقيسي والقرطبي والغرناطي¹. وانتسب منهم بالتجبيي والحضرمي. حيث في ظل هذا التأثير والتأثر وجدت ظواهر أثرت وغيرت من المظاهر السلوكية وعلى النسق القيمي والاخلاقي للمجتمع، في الوقت الذي ذهب فيه علماء الاجتماع إلى أن التركيب الاجتماعي له تأثير مباشر ويعد مصدر من مصادر الانحراف². ومع الظروف القاهرة في عصر الطوائف طبع على المجتمع الاندلسي بعض المظاهر السلوكية الجديدة والدخيلة على المجتمع.

فالروح النصرانية التي طغت على النصاري الوافدين على البلاد الإسلامية واندفاعهم وتحمسهم الشديد لزعة وكسر شوكة المجتمع المتلاحم مستغلين بذلك هشاشة المجتمع بفعل الحروب والازمات وغياب الوازع الديني والموالة للنصاري، حاولت هاته الروح النصرانية ان تهيمن على الفرد الاندلسي من خلال بث افكارهم ومعتقداتهم عن طريق الاحتكاك المباشر، وكذا التأثير المتبادل الذي تسربت من خلاله العادات الشاذة إلى الفرد الاندلسي كما جاء على لسان أحدهم عبارة "اخط مع الجماعة ولا تصب وحدك"³. وألفت في ذلك مؤلفات ككتب الحسبة والفقه، توضح حدود العلاقة بين المسلمين ومع غيرهم.

وكرد فعل على تسرب بعض العادات الشاذة إلى المجتمع الاندلسي سعى الخطاب الديني إلى انكارها والتهجم عليها بشدة خاصة فيما تعلق بقضية التعامل مع النصاري والاستعانة بهم في حروبهم مع اخوانهم، ففي رسالة تؤكد حجم التفسخ والانحلال التي رد بها أبي الطيب بن من الله (ت493هـ/1098م) على ابن غرسية في التفاضل بين العرب والعجم

¹ بن عبد الملك محمد المراكشي، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، ج4، ص 34.

² بن خيرة رقية، الآفات والانحرافات، ص 75.

³ الزجالي، أمثال العوام، ج2، ص 33.

الفصل الأول: أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

بقوله: "... المباشرة عندكم كالمراضعة ... تبيحون ولوج العلوج على بدور العدوج، والزنا عندكم سنا والفجار بينكم فخارا...¹.

في حين يذكر انه وجدت قنوات اجتماعية ايضا ساهمت في انتقال التأثير كظاهرة المصاهرة "نكاح اهل الكتاب".²

¹ ابن بسام، النخيرة، المصدر السابق، مج 2، ص 726.

² الجزيري علي بن يحيى، المقصد المحمود في تلخيص العقود، ص 43.



الفصل الثاني:

**- الآفات الاجتماعية والانحرافات
في المجتمع الاندلسي عصر ملوك
الطوائف**

الحضارة ليست تقدما ماديا فقط، بل هي أيضا جملة من الأخلاق والسلوكيات، أي أن الحضارة نمط حياة راق يغمر كيان المجتمع، وبالرغم من كل هذه الجمالية إلا أننا نلاحظ في عادات الأندلسيين مثلهم مثل كل المجتمعات ممارسات مشينة وتصرفات لا أخلاقية فسمة الحياة القائمة على ازدواجية تقتضي ذلك.

على الرغم من أن المسلمون في الأندلس أقاموا حضارة راقية، متطورة تعج بالجمال والجادبية، اتخذتها الشعوب المجاورة لها نموذجا ونبعا تنهل منه ما يحقق نهضتها؛ في المجال العلمي والثقافي وحتى في النواحي الأدبية والاجتماعية، تقول زغريد هونكه: "إن الحلي التي يقدمها الأوربي لحبيبتة أو لزوجة صديقه أو رئيسه سواء كانت ماسا أصليا أو زجاجا مصقولا، هي عادة استوردت من الشرق [وتخاطب الأوربي قائلة] لو كتبت أنت للسيدة الفاضلة خطابا وأنهيته: «بالمخلص «فلان» أو «بخادمك فلان فأنت تعترف بسيادة العرب لأنك أخذت عنهم هذه الكلمات".¹

أولا- مفهوم ومظاهر الانحرافات الاجتماعية في المجتمع الأندلسي:

1. مفهوم الانحرافات الاجتماعية:

للقوف على مفهوم الآفات الاجتماعية علينا تفكيك مفهومها المركب أولا، ومن ثم نعيد تركيبها لنقف على مفهومها العام والشامل ثانيا؛ وبالعودة إلى المصادر الأدبية نلاحظ أنها تكاد تتفق حول المدلول اللغوي لمصطلح الآفة الذي يقتضي معنى العاهة، أو العلة، أو المرض؛ فابن منظور يعرفها على أنها العاهة²، كما يعرفها بأنها عرض مفسد لما أصاب شيء ما، ويقال إيف الزرع على ما لم يسم فاعله أي أصابته آفة، ويقال أيضا آفة العلم النسيان، وآف القوم وأوفوا، وإيفوا أي دخلت عليهم آفة، وآفت البلاد تؤوف

¹ زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تر، فاروق بيضون و كمال دسوقي ، ط8، دار الجيل، بيروت ، 1993م، ص467.

² ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت، د.ت، ج9، ص16.

صارت فيها آفة وجمعها آفات. ونفس التحديد اللغوي نجده عند صاحب القاموس المحيط الذي يشير إليها هو الآخر على أنها المرض والعاهة.¹

ويبدو أن هذا المعنى الذي يقتضي المرض لا يختص بالمصادر الأدبية لوحدها، وإنما يشمل كذلك الكتب الطبية التي استخدمت هي الأخرى مصطلح الآفة للدلالة على المرض؛ إذ يذكرها ابن زهر عبد الملك بصيغة اسم الفاعل مؤوفاً أي المصاب بمرض أو علة ما²، ويتردد مصطلح الآفة بمعنى المرض أيضاً في الكتب الفلاحية للدلالة على الأمراض التي تعتري الأشجار والمزروعات، كافة النجوم التي تصيب الكرم وتتجلى في احمرار ورقه حمرة شديدة³، ويجعلنا هذا الأمر نقر بوجود تقارب بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي على أن كليهما يؤيدان معنى المرض والعرض المفسد.

أما المفهوم الفقهي للآفة فعلى ما يبدو أنه لا يستقر على معنى موحد لها من الناحية الفقهية؛ إذ يمكن أن نجد تقاطعاً بينها وبين مفاهيم أخرى لها نفس المدلول ضمن هذا السياق وذلك حسب طبيعة الشيء الذي تصيبه وانطلاقاً من دلالتها اللغوية كذلك؛ فقد تكون الآفة الجائحة أو النازلة إذا أصابت الزرع وأفسدته⁴.

وتكون في الغالب أمراً لا يستطاع دفعه مما يصيب الثمار من السماء من ثلج ومطر وعفن وبرد وعطش وريح وجراد⁵، وقد تكون عاهة جسدية إذا ما أصابت الإنسان خلقة كانت تلك العاهة أو عارضا كالعور والعمى، أو العرج وغيرها من العاهات الجسدية الأخرى كما

¹ ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص16.

² الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح، محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص794.

³ أبي مروان بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر الايادي الاندلسي (ت 557هـ) كتاب التيسير في مداواة والتدبير، تح، محمد بن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1991، ص121.

⁴ ابن العوام أبو زكريا، الفلاحة الأندلسية، تح، أنور أبو سويلم وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني،

الأردن، 2012، ج3، ص179.

⁵ ابن رشد (أبو الوليد)، مسائل، تح، محمد الحبيب التجكاني، ط2، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ، 1993، ص1143.

يحتمل أن تكون عيبا في العبد سواء أكان ذلك العيب خلقيا أم أخلاقيا¹، ويمكن أن تكون عيبا في الحيوان أيضا².

يفهم من خلال هذه التعاريف المختلفة أن الآفة لا تتطوي على تعريف اصطلاحي محدد لها سوى التعريف اللغوي، وعليه فإن هذا المفهوم لا يحمل دلالة اصطلاحية معينة وإنما يقترن عادة بالمجالات أو الميادين التي تكون واقعة فيها هذه الآفات كأن نقول الآفات الاجتماعية أو الآفات الزراعية، أو حتى الآفات الخلقية والأخلاقية.

وعلى هذا يمكننا القول بأن الآفات الاجتماعية: هي ظواهر سلبية قد تظهر في مجتمع بعينه، وفي وقت معين، ولظروف معينة أيضا، تستدعي ضرورة دراستها والكشف عن أسبابها، وبتعبير أدق هي الأمراض الاجتماعية الناجمة عن التغيرات التي تحدث في مجتمع ما سواء كانت تلك التغيرات بفعل تأثيرات داخلية أو خارجية.

يقتضي بنا الحديث عن الانحراف بوصفه ظاهرة اجتماعية أن نشير هنا إلى بعض مدلولاته السوسيولوجية المعاصرة³، ونلاحظ أن مختلف التعريفات الحديثة التي حاولت أن تحدد مفهومه من هذا الجانب، تكاد تتفق على أنه يمثل الميل عما تم الاتفاق عليه، أو يمثل الابتعاد عن خط معين أو معيار محكم⁴. وعليه فالانحراف يجسد عدم الامتثال أو عدم الانصياع لمجموعة من المعايير المقبولة لدى فئة من الناس في الجماعة أو المجتمع⁵.

ويعرف كذلك على أنه شذوذ عن القوانين العامة والأخلاق الضابطة للاجتماع، ونمطا سلوكيا مغايرا لما هو عليه العرف.

¹ ابن جزى، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبية على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تح، محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف، الكويت، د.ت، ص354.

² أبو المطرف عبد الرحمن المالقي، الأحكام، تح، الصادق الحلوي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1992، ص91.

³ أنتوني غندر، وكارين بيردسال، كتاب علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ترجمة ديمتقو، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت، ص283.

في حين يعرفه البعض الآخر: " بأنه السلوك الذي يخرج بشكل ملموس عن المعايير التي أقيمت للناس في ظروفهم الاجتماعية".¹

أما مفهوم الانحراف من الناحية النفسية فهو يركز على اعتباره حالة من سوء تكيف الفرد مع النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه، وسوء التكيف هذا يظهر في أفعال مضادة وأنماط سلوكية مخالفة للجماعة، أو ما اتفق عليه بأنه سلوك سوي ومتعارف عليه.²

أما فيما يتعلق بتعريفه القانوني؛ فعلى ما يبدو أننا لا نجد له مفهوما محددا في هذا الجانب إلا من خلال تحديد الأفعال المعاقب عليها، والتي يعتبرها المشرع انحرافا إذا ما ارتكبها الفرد، وعلى العموم يمكننا أن نعد ما يلج في جملة المخالفات المرتكبة والمشهر بها، والمتابع لها، والمعاقب عليها من قبل القانون انحرافا.

وإذا كانت هذه التعاريف قد ارتكزت في مفهومها للانحراف على جانب السلوك وعدم امتثاله للمعايير والقيم العامة، أو لكونه مخالفا للقانون وعدم التكيف مع النظام الاجتماعي؛ فإن أشمل تعريف له هو ما انتقل به من مفهومه الضيق والمنحصر فيما أشرنا إليه منذ قليل إلى مفهومه الواسع حينما أعطاء بعد الظاهرة الاجتماعية التي تنتج عن تفاعل مجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تتصهر معا على مستوى الفرد والمجتمع في آن واحد وفق المنظور والإطار الفكري العام.

يكون الانحراف وفقا لهذا التعريف وحدة بيولوجية نفسية في وسط اقتصادي وسياسي وثقافي واجتماعي يحدد السلوك السوي من السلوك المنحرف، ويبدو أن كثرة تعاريفه واختلافها من حقل معرفي لآخر تبرز الأهمية التي أضحى يكتسبها هذا المصطلح ومواضيعه في مجال الدراسات الاجتماعية، والقانونية، والنفسية الحديثة.³

¹ صباح عباس، الانحرافات السلوكية، الأسباب والعلاج، ط1، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص50.

² محمد عبد القادر قواسمية، جنوح الأحداث في التشريع الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص63.

³ غريب محمد سيد أحمد، وسامية محمد جابر، علم اجتماع السلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005، ص48.

يبدو أن تحديد المفهوم الخاص بالانحراف في أدبيات الخطاب التاريخي والاجتماعي والفقهني الأندلسي؛ ليس بالأمر الهين بالنظر إلى تلك الصعوبات التي ترتبط أساسا بمدلوله الاصطلاحي؛ فإذا كان الانحراف في مفهومه السوسيولوجي المعاصر، هو الميل عن المعايير والقيم الضابطة للمجتمع، ويتجسد ذلك في سلوكات معينة تجعلنا نصنفها ضمن هذه الخانة؛ فإنه ليس من السهولة بمكان أن نجد له ضمن أدبيات الخطاب التاريخي والفقهني مفهوما واضحا وشاملا كهذا.

يعزى ذلك إلى إشكالية المعايير المحددة للسلوكات الانحرافية والمرجعيات التي نحتكم إليها في ضبطه، ذلك أن تحديدها في المجتمع الأندلسي من الناحية التاريخية تكتنفه صعوبات جمة في ظل غياب الأسس المعتمدة في التصنيف، ناهيك عن تعدد المنطلقات الفكرية التي تلاقحت فيما بينها وبلورت لنا الفكر الأندلسي في تلك الفترة، ولعل ما زاد من صعوبتها أن كل منها قد حاولت أن تعطيه مفهوما وتصورا خاصا بها ضمن مفهومها للسلوك المثالي الذي يعاكس في حقيقته وجوهره السلوك المنحرف المرتبط بظرفيته التاريخية والفكرية التي أفرزته، وأن تحدد أيضا طبيعة الممارسة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي، بعدما أضى الخطاب الأخلاقي خلال هذه الفترة علما قائما بذاته، مستقلا بمنهجه ومفاهيمه، وعاكسا لنمط من الفكر والسلوك.¹

ثانيا: أسباب ومظاهر انتشار الآفات الاجتماعية

ومن الظواهر والعادات المنحرفة عن الفطرة السليمة والنهج الإسلامي التي تناقلتها كتب الحقبة الوسيطة نجد: التبرك بقبور الصالحين، واللجوء إليها في الأزمات والصعوبات التي تتخلل سيرورة الحياة،² وإن كان التبرك بالقبور لم يتسع في عهد الخلافة بالقدر الذي عرف في عهد المرابطين وما يليه، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة تلك الدولة التي أقيمت على أسس

¹ يوسف بن مهدي، أصول الفكر الأخلاقي بالمغرب والأندلس، ط1، مركز الإمام الجليل للدراسات والبحوث الصوفية، سلسلة مباحث السلوك، المملكة المغربية، 2014، ص126.

² إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في تاريخ المغرب والأندلس، ص 100.

مذهبية وأعلت من شأن مؤسسيها، بينما نجد أن الخلفاء لم يحاولوا إضفاء هالة من التقديس على حكمهم بصفاتهم ورثة الله في أرضه كما أن العلماء والفقهاء كان لهم دور بارز في نشر الوعي وتقويم سلوكيات الخلفاء، أضف إلى ذلك التطور الحضاري والمستوى الفكري الراقي الذي يمنع الفرد من الانسياق وراء الترهات والخرافات؛ ويجعله أكثر قدرة على تمييز الحقيقة. كما شاع في أوساط البعض فحوش اللفظ، وبذاءة الهجاء فالمقري يقول عن أهل إشبيلية أنهم يتبادلون فيما بينهم قبيح السباب ورذيل الكلام وكأنه شيء عادي ولا يترجون من ذلك مطلقاً،¹ وفي الشعر خاصة الهجاء منه تتجلى هذه الظاهرة واضحة، فمن الشعراء من يتحرى استعمال الكلام الجارح لأنه في نظره أوفى للمعنى، غير مراعاة في ذلك أصول اللبابة والأدب، ومثاله الذي هجا رجلاً فقال فيه:

أعد الوضوء إذا نطقت به متذكراً من قبل أن تنسى

وأحفظ ثيابك مررت به فالظل منه ينجس الشمس

إن قسوة هذه الأبيات تخرق الآذان كأنها سهم، وتخدش صميم الفؤاد كأنها سيف حاد، ولكن الأفطع أن يجعل الشاعر نفسه موضوعاً لذلك، فيلقي عليها وابل السباب والشتائم كأنه متجرد متبرئ منها، فقد نظر شاعر إلى وجهه في المرأة ثم استرسل قائلاً:

تأملت في المرأة وجهي فخلته كوجه عجوز قد أشارت إلى اللهو

إذا شئت أن تهجو تأمل خليقتي فإن بها ما قد أردت من الهجو

كأن على الأزارار مني عورة تنادى الورى لا تنظروا نحوي

فلو كنت مما تنبت الأرض لم أكن من الرائق الباهي ولا الطيب الحلو.²

فلعمري لو أنه لم يخرج هذا الهجاء منه لقل أن من هجاه يكرهه جداً ويحقد عليه إلى أبعد حد.¹

¹ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص158.

² صلاح يوسف عبد القادر: دراسات تطبيقية في الأدب الأندلسي، ط2، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، 1992، ص17-18.

ومن العادات المستهجنة التي عرفتھا الأندلس الاختلاط الحاصل بين الرجال والنساء، فمع أن الإسلام ضبط حدود هذه العلاقة مبينا الحرام فيها من الحلال والعادات الجارية في الأسر حجب الفتاة عن الصبي متى بدأت تتفتح ورود شبابها، إلا أن تجاوزات كثيرة وقعت، فقد كان عادة النساء من القرطبيات مثلا الخروج بعد كل صلاة ظهر من يوم الجمعة إلى السوق؛ عند باب العطارين لقضاء احتياجاتهن، إلا أن الرجال كانوا يتحينون الفرص لمعاكسة المارات، فالواحد منهم يتزين ويتعطر ويجلس مترقبا مفسحا المجال لشهوة قيدها الشرع بحدود تهذيبها، متأملا بدل أن يغض الطرف ويصون حرمة الغير، متلفظا بما لا يصح، وكعادة كل الأسواق فإن الاختلاط فيها و الزحام يؤدي كما قال الطرطوشي "إلى تلاصق أجساد بعضهم ببعض، حتى بلغني أن رجلا ضم امرأة من خلفها، فعبث بها في مزدحم الناس"،² وما يجري في قرطبة يسري على كل أسواق الأندلس.

ونجد من لم يقنع بالنظر بل قاده جراته واستسلامه لهواه إلى تتبع المرأة لتحري مسكنها، كما فعل الشاعر يوسف بن هارون المعروف بالرمادي، إذ كان مجتازا عند باب العطارين بقرطبة وهذا الموضع كان مجتمع النساء فرأى جارية أخذت بمجامع قلبه وتخلل حبها جميع أعضائه، فأنحرف عن طريق الجامع وجعل يتتبعها وهي ناهضة نحو القنطرة،³ فلما خافت أن يفضحها في حيها إن ظل يتبعها بادرتة بالسؤال عن غايته؛ ودار بينهما حوار انتهى بتحديد موعد للقاء جديد لم يتحقق، لأن ما فعلته من باب المدارات والتمويه، ومن خلال هذه القصة نستشف حقائق منها:

- حرية المرأة في الخروج، والأکید أن زينتها لا تفارقها، والجواري منهن سافرات لا يغطين وجوههن.

¹ ابن حزم، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص 137.

² الطرطوشي، الحوادث والبدع، المصدر السابق، ص 133.

³ ابن حزم، المصدر السابق، ص 32.

- اغتنم الرجال فرصة خروج النساء في ذلك اليوم للتفرج عليهن، فكيف تأخذ بمجامع قلبه لو لم يمعن النظر إليها ويطيل المراقبة، حتى اندفع لتغيير طريق الجامع، متخليا عن درب يقوده إلى الله؟!

وقد بلغت التجاوزات في العلاقة بين الرجال والنساء حدا ينم عن ضعف الأخلاق وانحلالها وتدني الذوق، ففي مجلس أنس أقامه أحد الأشراف وصلت الخسة بالضيف أن تغامر مع بنت من بنات صاحب الدار، وانفرد بها بين الفينة والأخرى، وصاحب البيت كالغائب الحاضر أعمته الثقة عن التنبيه للموقف والتفطن له، رغم أن ابن حزم الذي كان من ضيوف المجلس، نبهه مرارا لما يحصل خلف ظهره بتكريره لبيتي شعر جاء فيهما:

إن إخوانه المقيمين بالأمر س قد أتو للزنا لا للغناء

قطعوا أمرهم وأنت حمار موفر من بلادة وغباء

فما كان من صاحب المجلس إلا أن طلب منه تركهما أو إنشاد غيرهما لأنهما صارا مجلبة للملل، دون أن يحقق ابن حزم مراده من تنبيه الغافل.¹

فالانحلال الأخلاقي عرف لدى الخاصة كما العامة، ولم يكن الرجل في كل المرات مبادرا، بل تجرأت النساء كذلك، وأزلن عن وجوههن ماء الحياء، فقد اشتد وجد جارية "بفتى من أبناء الرؤساء وهو لا علم عنده، وكثر غمها، وطال أسفها، إلى أن ضنيت بحبه وهو بغرارة الصبا لا يشعر... إلى أن عيل صبرها وضاق صدرها، ولم تمسك نفسها في قعدة كانت لها معه في بعض الليالي منفردين... فلما حان قيامها عنه بدرت إليه فقبلته في فمه"،² فمع أنها جارية يجوز لها بحكم أنها ملك اليمين ما لا يجوز للحررة إلا أن الموقف يدل على نوع من التحرر المتشفي، الذي يجعل أنثى أيا كان توصيفها تبادر بإعلان الحب، وبذلك الأسلوب !

¹ ابن حزم، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص 141.

² نفسه، ص 75.

بل بلغ التجاوز مداه، ليصل حد الدعوة لارتكاب المعصية، فمما يورده ابن حزم من قصص في كتاب الطوق حكاية امرأة غاب زوجها لأداء بعض حاجياته، غير أنه تأخر عن العودة حتى مشى العسس فلم يعد بإمكانه المضي إلى بيته الذي ترك فيه صديقه فلما تيقنت الزوجة باستحالة عودة زوجها تآقت إلى الضيف فبرزت إليه ودعته إلى نفسها، لكن تقواه وورعه مكناه من لجم كلب الشهوة العقور؛ فلم يمكنها مما ابتغت، وصان نفسه وأرضى ربه. ولو تتبعنا كل ما تورده المصادر من إشارات في هذا المجال فنصل لا محالة إلى محطات من الضعف البشري يتسلل منها الشيطان موسوسا تصور لك المجتمع الأندلسي أنموذجا متهاككا، تقف على تخوم الفساد فيه متحسرا متأسفا مبغضا، ولكن وجب التذكير دائما أن التعميم ظلم، وأنه مجتمع من البشر وليس الملائكة، والنفس البشرية مركبة من الخير والشر، وكما يوجد من تتحكم فيه نفسه الأمانة بالسوء فهناك أيضا من سما إلى المعالي بسلوكاته وأخلاقه.

1. الترف المباح وغير المباح في المجتمع الأندلسي عصر الطوائف.

يشير السقطي وهو محتسب مدينة مالقة إلى وجود محلات بالأندلس تصنع الطعام وتبيعه للأعراس فهذا أمر يقتضيه أحوال الترف في الطعام، كما أنه يبدو أن الأندلسيين كان لديهم عادة الطعام مبنية على كثرة الأكل شهر شعبان وذلك استعدادا منهم وتهيئة أجسامهم لشهر رمضان، كانت تدعى هذه الأكلات بالشعبانية كذلك تكثر نعم الله بالمحلات الأندلسية من الأطعمة والاعناب والفواكه من الرطبة واليابسة، كما انتشرت في الأندلس أكل المجبنات وهي من الأطعمة الفاخرة¹.

¹ ابن عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبار: المقتضب في كتاب تحفة القادم، تح: إبراهيم الأبياري،

ط3، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989م، ص2010.

كما أن عادة الإكثار من الطعام خصوصا أطايبه كانت منتشرة فقد عرف جملة من مأكولات الترف ورفاهية فعرفت عندهم أطعمة مميزة وصنوف من الأشرية والطباهج¹. وتدلنا الوصفات المتنوعة للطبخ الأندلسي على أن هناك أنواع كثيرة من الأطباق فهناك أطباق الطعام وأطباق الحلوى إذ خص الملوك والوزراء مجموعة خاصة. اللواتي كن يحسن صنع الأطعمة خاصة الحلويات مثل الجوزنبقات والورنيجات والفاهريات والقطايف والمشهيات.

كما توجد أطباق المعاجين وأطباق الأشرية، كما اشتهر طعام الرفيس وطعام المجبنة وطعام، الثومية، وهو أحد الأطعمة المشهورة والمستعملة في الولايم بقرطبة وإشبيلية، فأهم الأطباق كانت تصنع من اللحوم ثم أطباق الحوت وبعدها أطباق الثريد.

كما انتشر بيع الثياب الحرير في أسواق الأندلس بشكل كبير فكان التجار يستخدمون في بيعها الحيلة والخديعة لإغراء المشتري ودفعه لشراء الملابس الحريرية فيقول السقطي: «أما الجلاسون لبيع الحرير ففي بيعهم وشرائهم ضرب من النجش وذلك أنهم يبيعون ويشترون ويأخذون أجرتين، أجرة من البائع على البيع وأجرة من المشتري على الشراء»².

وعرفت المرأة بشغفها في أنواع الحلي التي تشير إليها المصادر المختلفة والتي تدل على المبالغة في زينتهن والتميز برقتهن وترفهن فكن يستعملن الخلال والقرط والقلادة والسوار، هذا ولم تتوقف المرأة زينتها عند الحلي وإنما صنعت وصفات خاصة بالجمال كوصفة تحمير الخدود التي أطلقت عليها الغسول ووصفة لتغيير لون العينين من أسود إلى أخضر بوضع لبن الأتان في عينيها.³

وكذلك من باب الزينة والترف وإظهار الفخامة استعمال الأندلسيين مواد لتطيب رائحة الإنسان فيذكر المقرئ أصولها في خمسة أصناف وهي العنبر والكافور والمسك والعود

¹ مؤلف مجهول: الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تح أمبروسيو هويثي ميراندا، مجلة المعهد المحري للدراسات الإسلامية، مدريد 1961-1982م، ص174.

² ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص122.

³ نفسه، ص 133.

والزعفران فهذه الأصناف الخمسة من أفضل الطيب والتي تعتبر من أشهر العطور الغالية لأن منتجاتها غالية الثمن استعملها السادة والأثرياء.

ويتجلى واضحاً مما جاء في المصادر على قلته أن أزياء الأندلسيين امتازت بالتنوع من حيث الخامات والألوان والأشكال وبالفخامة والجمال.¹

كما كان هناك نوع آخر من الترف والبذخ في الاحتفالات الدينية إذ كان الأندلسيون يهتمون بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف من قبل ولاية الأمر حيث كان يتم التزين بما حسن من الثياب وركوب فاره الدواب، وكذلك عادة استعمال السموع التي اعتبرها الفقهاء من المفاسد وفيها تبذير للمال، كما كان الأثرياء من الفقهاء آنذاك يحرصون على إقامة الولائم ودعوة الأصدقاء إليها والتوسعة في الأكل، كما اعتبر يوم احتفالهم بعاشوراء فرصة للهو والترويح.

كما تشبه الرجال بالنساء الأندلسيات وضربوا آلات اللهو على أشكالها وأدخلوا عليها بدعاً وخرافات.²

وبالتالي يمكن القول أن الاحتفالات في الأندلس تنوعت وتعددت أشكالها وشملت جميع عناصر المجتمع الإسلامي الأندلسي.

إن حياة كثير من الأندلسيين يطبعها جو الترفيه واللهو وذلك باهتمامهم بكل ما يملأ فراغهم من مختلف الألعاب، فقد عرف المجتمع الأندلسي العديد من الألعاب التي ارتبطت بثرائه والتي بدت نوعاً من أنواع التسلية والترفيه فقد ابتكروا عدد من الألعاب فأهل الأندلس بطبيعتهم محبون للهو والترف فمدينة إشبيلية كانت من أكثر ميادين اللهو واللعب فكانت تسمى مدينة الألعاب والأدب واللهو والطرب في الأندلس.

¹ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ابن سيدة المخصص، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، مولات، مصر، ج4، 1317هـ،

² أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إعداد محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، رباط، بيروت، 1981م، ج11، ص246.

حيث انتشرت لديهم لعبة الشطرنج ولعبة النرد كوسائل للترفيه عن النفس¹، وألعاباً أخرى كالقرف والأزلام فكان بعض من يلعبون هذه الألعاب يلعبونها على سبيل القمار فتشغلهم عن الفرائض ويضاف إلى هذه الألعاب لعبة اللطمة والمقرع وهي ألعاب تعتمد على المخادعة والكذب.

بالنسبة للعبة الشطرنج فإن حكام الأندلس وأمرائها كانوا يلعبونها وهم في لعبها في غاية الاتقان وعلى مستوى رفيع.

على الرغم من تنوع وتعدد الألعاب الأندلسية غير أنه هناك بعض هاته الألعاب التي تشير إلى نوع من الترف والمبالغة، ولعل أبسط مثال هو لعبة الشطرنج هاته الأخيرة التي كانت من الألعاب المفضلة لدى المسلمين فقد انتشرت لعبتي النرد والشطرنج أوساط الأندلسيين فمن لهفهم وعشقهم بهاته اللعبة أنهم يستغرقون أحياناً النهار كله أمام رقعة الشطرنج. فكثيراً ما كانت تعقد في القصور بين الملوك والوزراء وقد عاب الفقهاء على اللاعبين تضييع الوقت فيها لأنها تؤخرهم عن أداء الصلاة في وقتها، حيث يرى الغزالي أنها تشغل عن الكسب والعمل فهي أنسب للأغنياء أو ذوي الشأن الذين يستندون على ثروتهم لأنه لا ربح من وراءها سوى سعادة مؤقتة².

وكذلك الأمر بالنسبة للنرد شأنها شأن الشطرنج فهي تلعب من قبل الأغنياء وذوي الجاه والمال للترفيه غير أنه يمنع لعبها على سبيل القمار لأن ذلك من المحرمات وتؤدي إلى لهو الناس عن أداء فرائضهم³.

من مظاهر الترف التي عرفت عن الحكام في الأندلس ولعهم باقتناء الجواري والاستكثار من اتخاذها، فإن عظم ما حصله المسلمون من غنائم ومن البديهي من وجود سبايا من

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي ابن عبدون وابن عبد لرؤوف والجريسي: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص 51.

² ابن الحكم يحيى البكري الحيايني الغزالي: ديوان يحيى بن الغزالي تح محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1993م، ص 73.

³ التجيبي وآخران، المصدر السابق، ص 51.

النساء والغلمان وهذا دليل على توفر هذه الظاهرة بالأندلس فكان الأندلسيون يبحثون في الكثير من الأحوال على الجوّاري الأعجميات ذوات الحسن والجمال الفائقين والنسوة اللاتي تتقن الأعجمية والزي الرومي، كما كان المجتمع الأندلسي لا يقتصر على نوع واحد من الجوّاري بل كن كثيرات ومن أجناس مختلفة وكن يسقن إليها من مختلف البقاع كالهند والمغرب والأمصار العربية المختلفة، فقد صنف الأندلسيون الجوّاري على العديد من الأسس والتي صنفها السقطي كالآتي : لقوله " الخادمة البربرية للذة والرومية لحيطرة المال والجزاية والتركية لإنجاب الولد والزنجية للارضاع والملكية للغناء والمدنية للشكل والعراقية للطرب¹.

فقد كان اقتناء الجوّاري بهدف التمتع والمتعة والترف في الحياة وهو ما ميز حياة كثير من الأندلسيين، كما تفنن الأندلسيون في هذا العصر في عرض الجوّاري للمشتري في أحسن صورة فكانوا يستخدمون عدة حيل للتلاعب بالمشتري فيغيرون شكل الجارية مما يعطيها جمالاً على أساس اللون، فكانوا يزينون بعضهم ليصبحن لون بشرتهن أبيض والبعض الآخر كانوا يتزينون بتحمير خدودهن ويسودون شعورهن ببعض النباتات ويسمنون الأعضاء الهزيلة وينعمون الأطراف الخشنة وينقون البدن من الشعر ويزيلون الكلف وغير ذلك من أصناف التجميل التي يستعملونها لإعطاء الجارية صورة حسنة ومظهر جميل يغري المشتري فيسرع إلى شراء الجارية، فالذين كانوا يشترون الجوّاري إنما يشترون بحثاً عن الجمال والرغبة في المتعة، كما أن الجاريات كن يقمن ببعض التصرفات وهذه بتوصية بائعيهم وهي أن يتبرجن للمشتري ويسلبن المتاع ويلبسن بعض الألوان من الثياب الشفافة والموردة ويلبسن الحمر والصفر، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن المجتمع الأندلسي كانت رقعة الترف واسعة فيه.

¹ مؤلف مجهول، الطبيخ في الأندلس، المصدر السابق، ص 141.

2. الممارسات الجنسية:

أ/ انتشار الزنا ودور البغاية:

كانت ظاهرة الزنا منتشرة في المجتمع الأندلسي، فقد انتشر الانحلال الأخلاقي والفساد في المجتمع حيث شاعت بين الناس الملاهي على سير الجاهلية باتباع المناكر الناشئة عن أهل الجهالة والأفعال المنافية للشرعية من النساء المفتتات في طرق الغوايات. كما كانت عادة الاختلاط منتشرة في المجتمع الأندلسي، كما انتشرت ظاهرة الوشم في أوساط النساء حيث تقوم بغرز الإبر في البدن حتى يسيل الدم ثم يحشى بالكحل وتتعطر بمختلف العطور وتستعمل أنواعاً من الحلي كالأقراط والخواتم والأساور والخلخل وهذا من أجل الإثارة¹.

فطن ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) إلى أبعاد الجانب الأخلاقي للدول فقال: «من مفاصد الحضارات الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فتقع النفس في شهوات الفرج بأنواعها من الزنا واللواط»²، عاش ابن خلدون المحنة الأخلاقية التي عرفها الغرب الإسلامي خاصة الأندلس.

كانت من نتائج حياة الترف والبذخ والتي عاشها الأندلسيون انتشار الزنا فسادت أخلاق العامة والخاصة وفسد المجتمع الأندلسي فانغمس المجتمع في الدعارة ويعزو أحد شعراء الأندلس سقوط المدن الأندلسية وخاصةً مدينة طليطلة إلى ما حصل لأهل الأندلس من الفسق والفجور فقال:

أنا من أن يحل بنا انتق

وفينا الفسق اجمع والفجور

يزول الستر عن قوم إذا ما

على العصيان ارخيت الستور³

¹ مزوزية حداد، سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية (515هـ - 1121م / 668هـ - 1269م)، منكراً لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012/2013م، ص 290.

² محمد زبير: المغرب في العصر الوسيط الدولة المدنية - الاقتصاد -، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 247.

³ المقرئ، نفح الطيب، ج4، ص484.

ولقد انغمس كثير من الأندلسيين في شهواتهم واستسلموا للدعة والترف وعاشوا في غنى واسع وحياة عاتية فاتبعوا أهوائهم من ألوان الترف الفاجر فانتشرت ظاهرة عشق الغلمان.

عرفت الأندلس حوادث الزنا كسلوكيات منحرفة نجمت عن الترف والبذخ، فكان النساء يخرجن جميلات كاشفات الوجه فقد عرفت الأندلس ظاهرة التنافس على عشق بعض النساء وقد نظم الشعراء والكتاب من الأشعار ما يصفون من خلاله حالة الفساد والانحلال الأخلاقي التي وصل إليها المجتمع الأندلسي فقد صاغ أبو بكر عبد الرحمن بن مغاور أبياتاً تصور هذه الحالة قائلاً:

الحمد لله بلغنا المنى لا حد في الخمر ولا في الغنا
فتحلل القاضي لنا ذا وذا وإن شكرناه أحل الزنا¹

ب/شيوخ ظاهرة الولع بالغلمان:

ان كثرة مجالس اللهو والطرب التي عاشها المجتمع الاندلسي نتيجة الحياة المترفة، كانت بمثابة المغذي الأول في انتشار هذه الظاهرة الخلية. اذ تصف حالة العور التي أصابت المجتمع الاندلسي. فانغمس المجتمع في الملذات والمهيات من الشهوات وضعف الوازع الديني واحتك المجتمع الاندلسي بالنصارى نتيجة التقارب وتعدد اثنياته اذ قلما نجد مجلسا يخلو من هاته الظاهرة، كما وصفه المعتمد بن عباد في أبياته:

لله ساق مهفهف غنج قام يسقي فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته في جامد الماء ذائب الذهب²

وصل الأمر إلى تفشي هذه الظاهرة وتغنى بها الشعراء وانغمس فيها الأمراء ولم يسلم منها لا الطبقة العامة ولا الخاصة، كما أكده بن بسام في كتاب الذخيرة³.

¹ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص484.

² ابن خاقان، قلائد العقيان، المصدر السابق، ج1، ص64.

³ ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ص144.

اذ وصل بهم الامر إلى بناء دور الغلمان، كالتى اتخذها ابن السقاء وزير أبي الوليد بن جهور في قرطبة خاصة بالغلمان سماها الناس بدار اللذة¹. وفي كتاب لأبي عامر بن مسلمة تدور حول وصف الغلمان، فالإشارة هنا تدل على كثرة التغزل بالغلمان وفيه رسائل لذلك وقصائد كتبت. حتى أن الامراء والوزراء لم تخرجوا من تغزلهم بالغلمان. هذه الظاهرة المنافية للدين ولقيم المجتمع لم تكن في طبقة محددة وانما توسعت في أوساط المجتمع، ولم تكن مرغوب بدعوة أن القضاة حاربوها كما ورد في نوازل فقهية آنذاك كنوازل لابن رشد وابن الحاج حيث ان هذه الظاهرة كانت تجرى في مجالس اللهو والخمرة ووصل الامر إلى التنافس للوصول إلى المتعة بوسائل جديدة بعد أن تفسخت الأخلاق وابتذلت المرأة خاصة عند الطبقة الارستقراطية. ويذكر حديث لابن بسام عن قول ابن فتوح عن نفسه " ما شيت غلاما معذرا كنت قديم الامتزاز به. وما قاله عبد الجليل ابن وهبون في غلام استهواه. وما يلاحظ انه كان لهاته الظاهرة أثر كبير في التفكك الأسري وترك الأولاد، اذ يصف الحميدي عبيد الله بن يحيى الأزدي المعروف بالجزيري المعروف بالبداهة والبلاغة انه كان قد رضي بإهمال داره واباحة حريمه، والتعريض بأهله طمعا في الحصول من فتى كان علقه وفيه قال ابن حزم:²

يا جاعلا اخراج حر نسائه شركا لصيد جاذر الغزلان

أني أرى شركا يمزق ثم لا تحظى بغير مذلة الحرمان

ووصل الحال بهم إلى أن أحدهم لم يملك نفسه لرتاء غلامه قول ذي الوزارتين ابي الوليد بنم الحضرمي في رثاء غلام وسيم اسمه فعال كان المتوكل ابن الافطس يهواه³. ويظهر توجه العامة لمثل هذه السلوكات المتنافية وقيم المجتمع والإسلام لجملة من الأسباب.

¹ ابن الأبار، الحلة السيرة، الهامش 2. ص 176.

² ابن حزم، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص 235.

³ ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق 1 مج 2. ص 391.

يذكر ابن الأذفوني في قوله عن الأندلس "أنتم يا أهل الأندلس فيكم خصلتان محبتكم للشبان وشريككم للخمرة"¹

قراءة في الأسباب:

- البيئة الأندلسية الخصبة التي سهلت فرصة الالتقاء بالغلما، فمنهم السقا، وخدم الأغنياء والميسورين ومن من كان بخدمة الشعراء.²
- الحرمان الجنسي الذي ساء الطبقات الفقيرة.³
- البحث عن وسائل جديدة للمتعة، في الوقت الذي أصبحت فيه المرأة مبتذلة سهلة المنال عند الطبقة المترفة في المجتمع الأندلسي الأرستقراطية.⁴
- الحياة اللاهية التي عرفت بها الطبقة الخاصة في الأندلس المجون اللهو والانحراف.⁵
- اعتبار الغلام أحد الركائز الطقوسية، التي قامت حولها مجالس اللهو والطرب، وانتشرت أماكن الدعارة في مدن برشانة، أبدة واشبيلية التي كانت مضرب الامثال في الخلاعة وكرة الملاهي.⁶
- ومن الأسباب أيضا كثرة أسواق النخاسة التي يباع فيه الغلمان والجواري، واخذ الرجال يتغزلن بالغلما وبلا تحرج أمثال أبي بكر بن محمد بن طلحة الاشبيلي. وكالذي سبق ذكره ابن السقاء.⁷

¹ الأذفوني كمال الدين أبو الفضل بن جعفر (ت 784هـ/1374م) ، الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تح سعد محمد حسن والحاجري، الدار المصرية، القاهرة 1996، ص 584.

² بولعرا، الحياة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 69.

³ دنش عصمة عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني. (510هـ . 546هـ/

1116م - 1151م) تاريخ سياسي وحضاري، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1988م، ص 341.

⁴ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص 577.

⁵ رقية بن خيرة، الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين 5 و6هـ، المرجع السابق، ص 145.

⁶ ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ص64.63/ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 159 .

⁷ ابن سعيد، المغرب، المصدر السابق، ج1، ص 254 . 255.

ولعل الأسباب سابقة الذكر ما هي الا الأسباب الظاهرة التي جعلت من الدراسة في الأسباب ينحصر حول ما كان منتشر في أوساط المجتمع وتعارف عليه الناس، اذ انها من نتاج هذا انتشار المخنثين والقطماء، وصارت ممارساتهم ضمن الجرائم الجنسية حيث شاعت مدينة قرطبة واشتهرت بغلام مخنث يدعى الهيدورة حيث برع في التخنث والكيد حتى صار يضرب به المثل. أضف إلى القطماء الذين انتشروا في درب ابن زيدون.¹

وجاءت على وقع هاته السلوكات خطابات فقهية تحارب هذه الظاهرة وتتص بعدم الخلوة بالغلما كونه لا يختلفون عن المرأة في الفتنة.

اذ نجد ان هذه الآفة عرفت شيوعا بين الاندلسيين ووصلت شهرتهم بها إلى المشرق...

3. شيوع الخمر ومعاقرته.

معاقرة الخمر:

المتصفح للتاريخ الاجتماعي للاندلس يقف على ما عرفه المجتمع الاندلسي من انتشار واسع لظاهرة شرب الخمر نتيجة الترف الذي عم الاندلس خاصة عصر ملوك الطوائف، وهذا ما أكده الفقيه ابن رشد على تحريمه لشرب الخمر في جوابه على سؤال رفع له حول حكمها.²

فعصر الطوائف عرف انحلالا اخلاقيا وتراجع على مستوى القيم، حتى أنهم أصبحوا يشربونه في أنهار اشبيلية جهارا نهارا، واشتهر أهل برشلونة بشربها كذلك حتى أنهم كادوا يداوون بالسلافة³. وتذكر النصوص المصدرية أن أسماء الملوك وأصحاب الوجاهة من المجتمع أقبلوا على معاقرة الخمر، أمثال المعتمد بن عباد (ت 488هـ / 1095م) لم يتوان

¹ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ج1، ص 176 . 177.

² ابن رشد، المسائل، المصدر السابق، ص635

³ السلافة: هي أول ما عصر من الخمر (معجم اللغة العربية المعاصرة)

عن شربها حتى في أحلك الأوقات¹. كما لم يتحرج المأمون بن ذي النون (ت 460هـ / 1068م) عن إكرام ضيوفه وتأنيسهم بها.²

وتؤكد إحدى الروايات اذ وصفت مجلسا ضم بعض الوزراء في ليلة أنس ولما لعبت الخمرة بعقولهم "جرد أحدهم السيف للقتل لولا أنا أحد الحاضرين سكنوه بالاستئزال، وثنوه عن ذلك النزال"³، كما يتضح ذلك من الرسالة التي بعثها ابن خاقان إلى أحد القضاة يناشده فيها بالحد من هذه الظاهرة أي مدى الانتشار الواسع للخمر في المجتمع الاندلسي مما جعل القضاء عليها أمرا مستعصيا.

ولم يقتصر شرب الخمر على الخاصة التي كانت تعرف فيه دليلاً رمزياً على السلطة والبذخ وحياة الترف على حد تعبير أحد الباحثين⁴. اذ تشير المصادر إلى حالات ضبط الشرطة لبعض العوام يحملون خمرًا، فقد عثر أعوان القاضي أبي بكر ابن العربي على رجل يحمل خمرًا⁵. في حين عثر القاضي ابن الحمديني على أحد السكارى مترنحا في الشارع. ولعل ربما كان الاقبال على شرب الخمر كنتاج التشرد والمعاناة أو الغربة فعند سؤال أحد السكارى عن سبب شربه لها أجاب: بفساد الزمان ومجافاة الاخوان.⁶

عرفت الأندلس انتشارا واسعا لظاهرة الخمر والتي ترتبت عن الحياة المنعمة المترفة التي عاشها الأندلسيون حيث أن شرب الخمر يرمز إلى حياة الترف والبذخ والتفسيخ الأخلاقي حيث شاع شرب الخمر بين كثير من طبقات الخاصة والعامة وعمت مجالس الشراب كثيرا من أنحاء الأندلس⁷.

¹ إبراهيم القادري بوتشيش ، مباحث في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 90 .

² المقرئ ، نفح الطيب ، المصدر السابق، ج 4، ص 134.

³ ابن خاقان، مطمح الانفس ومسرح التنفس في ملمح أهل الاندلس ، ص 383.

⁴ بوتشيش، المرجع السابق، ص 97

⁵ ابن عذاري، البيان المغرب، المصدر السابق، ج 4، ص 93-94

⁶ الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، ص 410.

⁷ بوتشيش، المرجع السابق، ص 98.

كما عرفت خمرة مالقة وكانت مشهورة مفضلة في الأندلس ضف إلى ذلك شهدت تأنقًا وتقنًا في صناعة كؤوس الخمر وهي على هيئات وأشكال مختلفة ومنها الشكل الصنوبري وهي منجمة بالذهب وكان عندما تملأ بالخمر تغري الناظر إليها. إلا أن ظاهرة الخمر ظلت مستمرة في الأندلس دون انقطاع فإن هناك من الأندلسيين من عاش عمرًا مديدًا وظل في شيخوخته يحن لأيام الشراب.

كما كان منتزه إشبيلية الواقع على ضفتي وأدها من أهم المنتزهات التي اشتهرت بها الأندلس، فلم يكن يخلو من مسرة وجميع أدوات الشرب ولا ناهي عنها ولا منتقد. كما وردت إشارات مختلفة تشير إلى بعض أصناف الفاكه التي كانت تصنع منها الخمر كالغلب والتين فكان الأندلسيون يطيلون الزمن في صناعتها كما استعملوا الرب كذلك من أجل الشراب.

فانتشرت صناعة الخمر في العديد من المناطق خاصة التي تكثر فيها الأعناب حيث اختصت مدينة مرسية بتصنيع النبيذ من التين والزبيب وعرفت هذه الصناعة أيضًا في كل من بلنسية ومالقة ومن الواضح أن حياة الترف والبذخ التي انتشرت في فئات المجتمع الأندلسي كان لها تأثير واضح وهذا ما زاد من ظاهرة شرب الخمر وانتشارها في الكثير من أرجاء الأندلس وعلى عدة مستويات فقد شربها العوام والخواص وهذا ما يؤكد شدة الانحراف الذي شهدته الأندلس الناجم عن الترف¹.

فحياة الترف التي عاشها الأندلسيون عملت على ظهور المغنيات والراقصات وهذا ما أشار إليه ابن عذارى المراكشي بوجود بعض المغنيات إلى جانب كونهن محسنات في مجال الغناء بجمال أصواتهم ومحسنات كذلك في الرقص بخفة حركتهن بالإضافة إلى اجادتهن للرقص بالرماح والسيوف والخناجر، وأصبح فن الغناء يمتاز باستعمال كثير من آلات الطرب وأدوات اللهو فكان من الآلات الموسيقية الأندلسية المستخدمة في هذا العهد

¹ الناصري، الاستقصاء، ج2، ص200.

كالحيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمونس والفنار والزلامي والشفرة والنورة وفيها مزماران الواحد غليظ والآخر رقيقة والبوق¹.

لم يجد الغناء حرج عند الأندلسيين الذين كانوا يبحثون عن المتعة أنى وجدت كما ظهر بعض الصقليّات اللواتي كن يقمن بالغناء والرقص كما كان للأندلسيين يد طولي في مجال تلحين الأغاني فمن الملحنين نجد أوب الصلت الاشبيلي (536هـ/1141م) فكان على درجة عالية من التلحين وله في ذلك من الكتب ما يشهد بفضلته في هذا المجال حتى عرف بالأديب الحكيم وهو الذي لحن الأغاني الإفريقية وإليه تنسب إلى حد الآن². وبهذا يمكن القول أن ظاهرة الولوج بالموسيقى والغناء كانت منتشرة وكانت من نتائج الترف باعتبار أن المجتمع الأندلسي كان ينعم بكافة الوسائل المادية التي تجعل منه يتيح ويميل إلى ملذاته وينغمس فيها.

4 ظهور الكدية وأسباب انتشارها.

تعريف الكدية:

في اللغة: جاء في معجم ابن فارس: الكاف والذال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على صلابة في شيء، ثم يقاس عليه.

والكدية وصلابة تكون في الأرض، يقال حفر فأكدى، إذا وصل إلى الكدية. ثم يقال رجل إذا أعطى يسيرا ثم قطع: أكدى أشبه بالحافر يحفر فيكدى فيمسك عن الحفر. قال تعالى "وأعطى قليلا وأكدى"³

ويقال أكديته أكدية اكداء، إذا رددته عن الشيء، والقياس في جميع ما ذكرناه وكداء مكان ولعله لن يكون من الكدية.⁴

¹ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، المصدر السابق، ج3، ص308.

² عصمت عبد اللطيف، دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص259.

³ سورة النجم، الآية (34)

⁴ أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة. تح عبد السلام هارون، دار الجليل بيروت، ج5، ص 110.

وجاء غي لسان العرب: الكدية كل ما جمع من طعام أو تراب أو نحوه فجعل كتبة وهي الكداية والكداة أيضا، ويقال لا يكديك سؤالي أي لا يلح عليك وقوله: فلا نحن نكديها أي فلا نحن نلح عليها.

قال الفراء: أكدى أمسك من العطية.

وقال ابن الأعرابي: أكدى افتقر بعد غنى، وأكدى المعدن لم يتكون فيه جوهر¹.

أما اصطلاحا:

يتضمن مصطلح الكدية فيما معناه التسول والتحايل والمراوغة في الكسب، وتقارب في الاصطلاح مع اللصوصية فهي ليست مجرد السؤال. كما تتضمن معنى الاحتيال من أجل المال بمختلف الأساليب...

فالمكدون فئة احترفت سؤال الناس والاستجداء في الظاهر لكنها استخدمت في ذلك وسائل من الاحتيال والتلون والأساليب غير المشروعة، معتمدة سذاجة الجمهور وغفلتهم لتحقيق غاياتهم الشخصية.²

والكدية ظاهرة اجتماعية خطيرة وأثر من آثار الفقر الاجتماعي وهي صعبه على النفس في الحس العربي، مرة المذاق وقال "علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه " من كان منكم في حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة"³

ومن خلال ما سبق، نستنتج أن هذه المصطلحات والتعريفات تشترك في السؤال وتختلف في طرقه وأسبابه. والكدية امتهان طلب المال من الناس بأي وسيلة كانت دون مسوغ شرعي...

¹ جمال الدين محمد بن منظور أبو الفضل، لسان العرب ط1، المطبعة الأميرية بيللاف - مصر، 1307هـ، ج2، ص 79-80.

² بن فايد خالدية، بلهول ربيع - الكدية وأهلها ببلاد الأندلس في العصر الوسيط. مذكرة لنيل شهادة الماستر كلية العلوم الاجتماعية-جامعة تيارت-(2019-2020). ص24.

³ لسيف الدين سعيد المحروفي، نماذج انسانية في السرد العربي القديم، ط1، دار الكتب الوطنية، تونس، 2010، ص99-100.

الكدية ظاهرة اجتماعية منتشرة بكثرة بين المجتمعات الإسلامية الأندلسية، فلا تكاد تخلو أمة من هذه الظاهرة، وقد بدأت في حدود ضيقة في القرن 6هـ (12م)، ثم توسعت بسرعة فائقة نتيجة التحولات الاقتصادية التي شهدتها المجتمع المغربي الأندلسي. تعرضت فئة المكدين إلى إهمال كبير، سواء في بلاد الأندلس أو عند الأدباء، وخير دليل على ذلك أن الأدباء كالجاحظ مثلا لم يعتبر الكدية كظاهرة اجتماعية أو مظهر من مظاهر الفاقة والحرمان، بل هي عنده: "وسيلة لخلق شخصية فنية لها نزاعاتها عاشت في أدب هذا العصر ثم قويت وتميزت عناصر تكوينها في أدب العصور التالية، لاسيما في أدب المقامة."

فظل المتسولون يمثلون شريحة لم يكن لها أي دور في عملية الإنتاج، ليس هذا فحسب، بل شكلت عبئا ثقيلا على الدولتين المرابطية والموحدية.¹ إذ كان المجتمع الأموي مجتمعا طبقيًا، طبقة الحكام والتي تمثل الثراء الفاحش، وطبقة الفقراء التي تمثل سواد الشعب،² لانتمائها إلى أصول اجتماعية فقيرة نشأت عن التحولات التي عرفها المجتمع المغربي الأندلسي.³ وكانت هاته الأخيرة تحارب فقرها بشتى الطرق، "فمنهم من اكتفى بالشكوى يبيتها، ومنهم من سلك أجداده من صعاليك العصر الجاهلي، فتكونت فئة من صعاليك الفقراء راحوا يقطعون الطرق وينهبون ويسلبون ليحصلوا على لقمة العيش."⁴

كما كان المتسولون في بلاد الأندلس يتجولون في الطرقات وينشدون مقاطعا من الأغاني الشعبية ليثيروا إعجاب المارة وينالون عطفهم.⁵ وقد ورد أن عددهم ظل ضئيلا بالأندلس بحكم أن عادة الأندلسيين كانوا إذا رأوا شخصا قادرا على الخدمة أهانوه. يذكر المقرئ ذلك قائلا: "أما طريقة الفقراء... التي تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في

¹ إبراهيم القادري، الإسلام السري في المغرب العربي، ط1، سينا للنشر، 1995، ص 172.

² عبد الهادي حرب، موسوعة أدب المحتالين، دار التكوين، دمشق، 2008، ص 58.

³ بوتشيش، المرجع السابق، ص72.

⁴ عبد الهادي حرب، المرجع السابق، ص58.

⁵ أنجيل جانثالث بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص160.

الأسواق فمستقبة عندهم إلى نهاية وإذا رأوا شخصا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه، فضلا على أن لا يتصدقوا عليه، فلا تجد بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر.¹ لكن الواقع أثبت عكس ذلك، وهذا ما لفت انتباه ابن عبدون في رسالته الحسبة، ومن خلال ما ورد فيها تمكن من الوقوف على أماكن اجتماع المتسولين، وفي مقدمتها المساجد والجوامع والأسواق، فلاحظ أنهم كانوا يستغلون فرصة يوم الجمعة للحصول على عطف المصلين، لذلك طلب من القائمين بشؤون المساجد والمؤذنين "لا يترك ساع في رحاب الجامع".²

ولم تقتصر ظاهرة التسول على الرجال فحسب، بل تعدى ذلك إلى انتشارها بين النساء. فقد ورد في ترجمة أبي إسحاق الأندلسي أنه اشترى من مريديه طعاما للعشاء فإذا بمتسولة تشكو ما ألم بأبنائها من جوع فأثر بالطعام المذكور.³ انتشرت الكدية في المجتمع الأندلسي لعدة أسباب، منها ما هو حقيقي ومنها ما هو زائف. وهي كالتالي:

- **الفقر والحاجة:** الفقر مشكلة اجتماعية واقتصادية في آن واحد، ويعد السبب الرئيسي في انتشار ظاهرة الكدية، إذ يسعى الفقير إلى التسول لسد حاجياته الضرورية.⁴ ويثبت الفقر والحاجة كعامل مؤثر في ممارسة التسول الأثر المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أنه خرج يوما، فإذا بشيخ ضريّر يسأل الناس على الأبواب فسأله: ما ألجأك إلى ما ترى؟" قال: "الجزية والحاجة، والسن".⁵

¹ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص220.

² ابن عبدون رسالة في الحسبة نشرها ضمن كتاب "ثلاث رسائل في الحسبة"، تح: ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955، ص 24.

³ أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997، ص310.

⁴ مها كريم المور، الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمتسولين في الأردن، (رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية)، 2002م، ص 78.

⁵ أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الخراج، دار المعرفة، بيروت، لبنان 1399هـ / 1979م، ص 126.

لهذا لا يمكن بحال من الأحوال لأي تحليل لظاهرة التسول أن يتجاهل ما بينها وبين الفقر من علاقة تاريخية وثيقة.

"ولأن النبي ﷺ كان يعرف شدة الفقر وتأثيره، فإنه كان يستعيز منه، وقد قرنه بالكفر وهذا دبر كل صلاة."¹

- **البطالة:** تعد البطالة سببا، لأنها من مظاهر سوء الأوضاع الاقتصادية. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "إذا جلس الرجل ولم يحترف دعتة نفسه إلى أن يأخذ ما في أيدي الناس."² وقد أمر الإسلام بالعمل مهما كان نوعه. لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه).³

- **عدم القدرة على الكسب:** ونعني بذلك الإنسان الفقير العاجز عن تحصيل قوته اليومي، وتلبية حاجياته الضرورية لعاهة أو مرض... وليس له مصدر رزق. ولقد جوز العلماء التسول لهذه الفئة. لقول النبي ﷺ للرجلين الذين سألاه: (إن شئتما أعطيتكما منه، ولا حق فيها لغني ولا قوي مكتسب).⁴

- **المشاكل الأسرية الاجتماعية:** تعد من أسباب انتشار ظاهرة التسول، فالمشاكل العائلية وما ينتج عنها من تفكك أسري وتشرذم للأطفال، يدفع إلى ممارسة هذه الظاهرة.⁵

¹ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، 1418هـ / 1998م، ج1، ص 196، كتاب الإيمان باب التعوذ من الكفر والفقر وعذاب القبر، رقم 106. وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

² أحمد بن محمد بن هارون الخلال أبي بكر (234هـ/311هـ)، الحث على التجارة والصناعة والعمل، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1407هـ، ص161.

³ محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: مصطفى البغا، ط3، دار ابن كثير، 1407هـ / 1978م، ج2، ص 535، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، رقم 1401.

⁴ أبو داود، سنن أبي داود، ج1، ص513، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم1633.

⁵ مها كريم، الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمتسولين في الأردن ، ص78.

- **السن والجنس:** صغر السن أو كبره يعد من أسباب انتشار هذه الظاهرة، لما يورثه من ضعف لدى الصغار ووهن عند الكبار. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أنه خرج يوماً، فإذا بشيخ ضير يسأل الناس على الأبواب فسأله ما ألجأك إلى ما ترى؟ قال: الجزية، والحاجة، والسن".¹ فيسعى للحصول على لقمة عيشه بأبسط الطرق، وأولها التسول، وكذلك الحال عند جنس المتسول، فالمرأة أكثر ممارسة للتسول من الرجل نتيجة ضعفها، وخاصة ذات الأولاد التي لا تجد من يكفلهم.
- **عمالة الأطفال واستغلالهم** تكليف الأطفال الأعمال الشاقة بسبب الفقر والحاجة، بهم إلى الانحراف الذي يوفر به المال دون عناء كبير مثل التسول "ولا يكلف الصغير بالكسب ولو بعد البلوغ إن لم تكن صنعة يتعلمها، وإلا كسب بالسرقة أو الحرام من وجه غيرها".²
- **الاستكثار:** يسعى المتسول في هذه الحالة إلى سؤال الناس من أجل تكثير المال وليس من أجل الحاجة، وقد أشار الشرع إلى هذا السبب وحذر منه وخص أصحابه بالوعيد، من خلال قول النبي ﷺ: (من) يسأل الناس أموالهم تكثراً، فإنما يسأل جمراً).³

ثالثاً-آثار وانعكاسات الانحراف الاجتماعي على المجتمع الأندلسي:

1. التعدي على منظومة القيم الدينية والاجتماعية:

بالرغم من تعدد الأساليب والأشكال التي تعكس لنا غياب قيم الحياء والحشمة في المجتمع ولا سيما ما تضمنته كتب الحسبة من إشارات هامة في هذا الشأن؛ إلا أنّ أشعار

¹ أبو يوسف يعقوب ، الخراج ، المصدر السابق، ص126.

² أحمد بن محمد بن هارون الخلال أبي بكر (234هـ/311هـ)، الحث على التجارة والصناعة والعمل، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1407هـ. ص60.

³ مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص720، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم 1041.

المجون تعد خير دليل على استهتار المجتمع بهذه القيمة الخلقية؛ فكثيرا ما ذهب الشعراء إلى الجهر بالمعاصي؛ فتحدثوا في قصائدهم عن الأمور الجنسية وسهراتهم الخمرية، كما تضمنت قصائدهم الدعوة إلى اغتنام الفرص والإقبال على الملذات، ولكم ترددت في المصادر الأدبية ولدى جامعي المختارات الشعرية عبارات تنم عن مجونية أولئك الشعراء، كقول المقرئ عن أحدهم: "ومن مجونيته سامحه الله تعالى"¹، أو مثل ما وصف به ابن بسام الشاعر ابن الأبار، وذلك حينما جعل من عبارة "ومن مجون ابن الأبار" ، مقدمة استهل بها ذكر بعض المقتطفات من نظمه، ثم أردف مطلقا عن أبياته تلك قائلا: "لقد ظُرف ابن الأبار واستهتر ما شاء ، ندر ، وأظنه لو قدر على إبليس الذي تولى له نظم هذا السلك، لدب إليه، ووثب أيضا عليه".²

كان لطبيعة المجتمع الأندلسي الذي أعلى من القيم المادية الاستهلاكية، إذ انصبت جل صناعاته على المواد الاستهلاكية وإنتاج الكماليات الموجهة إلى السلطة والفئات العليا من المجتمع وفق ما تتطلبه الحياة الحضرية وما يتناسب مع طابع الترف والدعة،³ دور في ظهور بعض القيم الجديدة التي مهدت الطريق إلى بروز بعض الانحرافات والمفاسد الأخلاقية؛ فبات من الطبيعي أن تغلب الربا على تجارة بعضهم، بحيث طرحت معها مسائل عن كيفية التعامل مع أموال هؤلاء التجار المرابين.⁴

نقول أيضا أنه انتشرت في المجتمع كذلك قيما أخرى من قبيل التهافت على تكديس الأموال والتعلق بالأمور الدنيوية، ونجد مثال هذا لدى بعض فقهاء المالكية الذين كانوا على قدر كبير من الجاه والثروة، حتّى أضحوا عرضة للهجاء بسبب استغلالهم لنفوذهم وجمعهم

¹ أنظر: الضبي، بغية الملتبس ، ج1، ص 207، رقم الترجمة 354 الحميدي، بغية ، ص115، رقم الترجمة 190.

² ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، مج2، ق1، ص151.

³ بوتشيش، أثر الإقطاع، ص ص88-91.

⁴ ابن رشد، المسائل، ج 1، المصدر السابق، ص ص552-563.

للمال بطرق غير مشروعة،¹ ومن النماذج التي تكشف لنا عن وجود خلل ما في المنظومة القيمية للمجتمع سيادة الروح الانتهازية والوصولية، بحيث تكشف لنا أمثال العوام عن بعض الوسائل التي اتبعت من أجل قضاء الحوائج أو الوصول لغايات محددة كالرشوة مثلاً، وفي ذلك تقول العامة : " اَعْمَلُ التَّيْدُ، وَنَعْمَلُكَ مَا تُرِيدُ".²

شاع في المجتمع كذلك الحسد وتدبير المكائد، وحلت النزعة الفردية محل النزعة الجماعية،³ ولا يخفى علينا الأثر الذي قد يخلفه مثل هذا النزوع على وحدة الجماعة وتماسكها؛ وفق ما ذهب إليه ابن رشد الحفيد حين بيّن لنا هذا الأثر بقوله: "...وليس هناك أكثر ضرراً على وحدة المدينة من التحاسد والتباغض والتهاكك والصراع على الثراء والمال مما يزعزع وحدة الجماعة".⁴

تجسد الانحرافات الجنسية التي شهدتها المجتمع الأندلسي خلال فترة الدراسة تعدّ صارخ على النسق القيمي الذي فرضته المنظومة الفقهية والتصورات الاجتماعية، قصد تنظيم الحياة الفردية والجماعية على حد سواء، كتقنين الغريزة الجنسية والحد من مداها ضمن إطار النكاح الشرعي لما فيه من تصريف للغرائز فيما يحله الشرع وإبقاء للنسل وإحصاناً للأعراض.

اقترن الزواج بالعفة؛ إذ لا يمكن الكف عما لا يحل من المحارم إلا بالزواج، والراجع أنّ قدسية الزواج لا تعود لكونه اتصال جنسي شرعي فقط، وإنّما تعود لكونه يجسد سلوكاً

¹ فوزي عيسى سعد، الهجاء في الأدب الأندلسي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2007، ص115.

² الزجالي، الأمثال، المصدر السابق، ج2، ص29، رقم المثل 108.

³ بوتشيش، مباحث في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص122.

⁴ ابن رشد، تلخيص، المصدر السابق، ص 120.

معياريًا يقتدى به، لذا ليس غريباً أن ينظر المجتمع الأندلسي إلى كل من تخلى عنه رغم قدرته على ذلك بنظرة الارتباب والشك في سلوكه الاجتماعي والأخلاقي.¹

ينطلق المجتمع الأندلسي في تنظيمه للعلاقات الجنسية من مبدأ أساسي يقتضي بأن هذه العلاقات هي في الأصل علاقات اجتماعية ينبغي أن تخضع لرقابة النظام الاجتماعي وسلطته، وعليه فإنّ هذا النظام يستهجن أية ممارسة في هذا السياق تكون خارج إطار الزواج من قبيل الزنا، أو اللواط، أو السحاق، لا لكونها طريقاً منحرفاً لتصريف الطاقة الجنسية، بل لكونها تشكل عدواناً على الفطرة البشرية في التآلف والزواج والسكنى كذلك.

يتضح أنّ مختلف النماذج التي حاولنا أن نتتبّعها في هذا المبحث بالوصف والتحليل، تعد في الواقع انعكاساً أميناً لما أحدثته ظاهرة الانحراف من تغيرات على النسق القيمي، بحيث توارت بعض القيم كالنقوى والعفة والحياء تحت جناح المجون والتهتك، وغلبت سلوكيات اجتماعية أخرى، مثل حب المثل من الرجل أو المرأة، والتخنيث، وعدم الغيرة، وكذا الغش والاحتكار، ونقص الذمة في البيع على المشهد الأخلاقي والاجتماعي في أندلس الطوائف، على أن أثر هذه الظاهرة في السلوك الاجتماعي لا يقتصر على هذه النماذج فقط، وإنّما يشمل أيضاً بعض الأنماط السلوكية الأخرى، لعل أهمها سلوك التصوف كما سنرى في المبحث التالي.

2. انتشار تيار التصوف: الأثر والمظهر

لم يكن توجهنا لقراءة مختلف النتائج والانعكاسات التي أفرزتها ظاهرة الانحراف في المجتمع الأندلسي ليهمش أثرها في انتشار تيار التصوف بوصفه ظاهرة اجتماعية بارزة ذات ارتباط وثيق الصلة بالواقع الاجتماعي وأوضاعه التاريخية، وغني عن القول بأنّ هذا الموضوع لا يزال يكتنفه الغموض بشأن مسألة التحقيق التاريخي لنشأته وتطوره، وطبيعة

¹ تقول العامة في ذلك: "عازب ومتفق، ثلثي قطيم يفتى فيه"، الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص379، رقم المثل 1664.

الأسباب والتيارات الفاعلة التي وجهت نشأته وانتشاره في سياقه التاريخي آنذاك؛ وننبه أننا لا نطمح هنا إلى البحث في كل القضايا الخاصة بالتصوف، وإنما نروم فقط الوقوف على مختلف البناءات النظرية الخاصة بجزئية النشأة والعوامل المؤثرة فيها وفق ما تقتضيه مستلزمات البحث التاريخي.

إنّ التناقضات التي شهدتها المجتمع الأندلسي في جوانبه الداخلية قد أثرت عليه بشكل أو بآخر؛ إذ لا مناص أن يكون للتفاوت الطبقي أثره في وجود طبقة من المعدمين والفقراء المتدمرين التي لم تجد غير المتصوفة للالتفاف حولهم، كما كان لانتشار مظاهر الترف والبذخ في الوسط الفقهي أثره المباشر في تراجع أخلاقيات الخاصة والعامة؛ بحيث أهمل هؤلاء الكثير منهم قواعد الدين وسلوكه القويم،¹ ناهيك عما شهده هذا المجتمع من أزمة أخلاقية عصفت بالقيم الدينية والاجتماعية نتيجة انتشار التفسخ والانحلال، وكذا انتشار المفاسد والمنكرات والبدع.

لا تعوزنا في الواقع القرائن التي تعيننا في إثبات هذا الارتباط بين تأثير ظاهرة الانحراف السلوكي وظهور التصوف في المجتمع الأندلسي؛ فالمتصوف أبي بكر ابن العربي يشير في كتابه سراج المريدين إلى أنّ الخطب قد عظم في زمانه مما دفعه إلى الانفراد عن الخلق والاكتفاء بالرب.² أما في مؤلفه العواصم من القواصم؛ فقد كشف عن مجموعة من القواصم التي قصمت مجتمعه نتيجة إتباع الناس للباطل؛ فجاء كتابه هذا "للتمييز بين هذا الإزدواج وتبيين ما فيه من قواصم المكر والاستدراج وعواصم الإنفاذ والإخراج" على حد قوله، وإن كان في الحقيقة مؤلفه هذا لا يشمل المنكرات والانحرافات التي عرفها مجتمعه وحسب، بل ويشمل ما عرفه تيار التصوف في حد ذاته من أباطيل انتشرت بين المريدين وأتباعه.

¹ عبيد بوداود، التصوف في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1556م)، دراسة في التاريخ الاجتماعي والثقافي والديني، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ج1، ص72.

² نقلا عن عصمت دندش، أضواء، مقال "ارتسامات حول التصوف في عهد المرابطين"، ص47.

يلقي ابن عبدون هو الآخر باللائمة على مجتمعه، فيرمي أهله بالفساد متتبعا في رسالته كل مواطن خللهم وقصورهم في صورة سلبية منفرة تثير الكثير من الإحباط النفسي، حتى أنه ذهب للقول في وصف حالتهم تلك بأنها لا تصلح إلا بدعوة نبي،¹ ويشارك القاضي أبي عبد الله محمد الوحيددي (ت542هـ/1147م) ابن عبدون رأييه في وصف حالة مجتمعه بلهجة هي الأخرى أقرب إلى الإحباط النفسي واليأس من الخلاص بقوله: "...وبالجملة فإنما هو دهر ملامات وشؤوم وابتداء عورة ولدود وخصوم".²

شارك هذان الفقيهان أيضا العديد من الشعراء الذين وصفوا فساد المجتمع وانحلاله، فصوروا في أشعارهم أخلاق أهله وطبائعه التي لم تخرج عن شيوخ الكثير من الرذائل والآفات الأخلاقية بين ظهرائهم، بهجاء لاذع كان نتيجة حتمية لموجة السخط والنقد الاجتماعي التي تعالت في ذلك العصر.³

3. ظاهرة الانحراف والمنتوج الثقافي: التأثير والتأثر

من البديهي القول بأن كل إنتاج ثقافي يعود فيما يعود إلى جملة من العوامل الاجتماعية التي تؤثر فيه إما بصفة مباشرة أو غير مباشرة ضمن علاقة جدلية وترايبية؛ إذ لا مرأى من القول أن هذه العوامل تتحكم في إنتاج كافة أشكال المعرفة في المجتمع؛ فأى عمل أو خطاب ثقافي مهما سعى منتجه إلى عزله عن مجتمعه؛ إلا ووجد نفسه بطريقة أو بأخرى عاكسا لواقعه ولمختلف قضايا ومشاكله.⁴

لا نشك في أن الانحراف بوصفه ظاهرة اجتماعية شهدتها الأندلس عصر الطوائف قد اخترقت مختلف خطابات ومعارف هذا العصر بشقيه النخبوي والشعبي وأثرت في اتجاهاتها المعرفية؛ وإن قراءة أشكال الخطابات الثقافية وأنماطها المختلفة كفيلة بأن تجعلنا نستظهر

¹ الجرسيفي وآخران، رسالة في الحسبة، ص60.

² ابن الحسن النباهي الاندلسي (ت742هـ)، تاريخ قضاة الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ص105.

³ أنظر في ذلك الأبيات التي قالها أبي جزيرة محفوظ بن مرعي الشرفي التي يعرض فيها بقوم ألفوا على ارتكاب الفواحش دون مراعاة لدين أو حرمة، أو تلك الأبيات التي أشار فيها الأعمى المخزومي إلى استئراء ظاهرة الزنا في المجتمع.

⁴ بن خيرة رقية، دراسة في ظاهرة الانحراف، المرجع السابق، ص222.

واقع هذه الظاهرة في المنتج الثقافي لهذه الفترة، ولا يتعلق الأمر هنا بمحاولة جمع تلك الخطابات التي أنتجها أهل ذلك العصر فقط، بل وكشف الطريقة التي احتلت بها ظاهرة الانحراف موقعها داخل البنية الخطابية¹.

¹ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 251.



الفصل الثالث:

الاصلاحات وجهود العلماء والفقهاء
في معالجة ظاهرة الانحراف
عصر الطوائف

تمهيد:

ان ظاهرة الانحراف التي شهدتها المجتمع الاندلسي عصر ملوك الطوائف أفرزت وعيا فكريا يدعو لضرورة الحد من هاته الظاهرة التي انتشرت وبشكل كبير في أوساط المجتمع. هذه الضرورة لم تتوقف على الجانب الديني الذي يتجسد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتقل إلى الجانب القانوني في نظام الدولة. إذا اقتضت الحاجة لايجاد حولا قانونية رادعة تعالج مختلف الآفات والانحرافات التي خلخلت نظام القيم الاخلاقية" النظم القيمية للمجتمع".

الجهود الاصلاحية التي نود البحث فيها طرحت تحت عدة تساؤلات هامة نذكر منها:

كيف تفاعل العمل الاصلاحى مع الواقع الاجتماعى؟ وفيما تمثلت هاته المواقف والجهود الاصلاحية في عصر الطوائف؟ وما هي آليات القضاء على هاته الانحرافات؟ وأخيرا كيف آلت هاته الاصلاحات في ظل الصراعات عن السلطة؟

وللإجابة على هاته الأسئلة لا بد من التطرق إلى عناصر التغيير في المجتمع المتحركة في تبدلات الاحوال الاجتماعية والمسؤولة عن نتائجها، السلطة السياسية، السلطة الدينية (الفقهاء)، بالإضافة إلى نخب اخرى كالشعراء والفلاسفة بشكل او بآخر.

أولا: السلطة السياسية ورهانات الاصلاح.

تلعب السلطة السياسية في امارات من امارات ملوك الطوائف والمتمثلة في الحاكم ووزيره وممثليهم دورا فعالا في اقامة وتحريك العمل الاصلاحى في ظل التجاذبات بين مشروعية الحكم والنظم السياسية المنوطة به، وظيفة اقامة العدل وتحقيق الامن. ومع التبدلات

السلطوية تعمل هاته السلطة على تنظيم الحياة اليومية وتهدف لإقامة النظام على اسس شرعية من جهة وتغيير المنكر من جهة اخرى¹.

تذكر عديد النصوص التاريخية بتعدد الاشارات التي تنص على وقوف الحكام لإقامة العمل الاصلاحى في المجتمع الاندلسي، سواء كان هذا بإرادة من الحكام لتجسيد بطولاتهم وصبغة فترة حكمهم بصورة مثالية في فترة التحولات السياسية من حاكم إلى آخر. وحسبنا في ذلك ما أورده ابن عذارى بخصوص ولاية يحي بن علي بن حمود على قرطبة فيما يسمى بالفتنة القرطبية القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي (399هـ/422هـ)، اذ يقول: بانه باشر بنفسه اصلاح الاوضاع والمفاسد واقامة الحدود². يضاف إلى ذلك ما قام به يوسف بن تاشفين ونهجه الاصلاحى في وقت تفتت فيه المظالم والمفاسد والانحرافات، ورايته رفع المظالم واظهار المعالم وابعد عنه المفسدين وخلفهم بالمصلحين³. اذ لم يقتصر جهده على العدو المغربية اذ "... كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستتقذها من أيدي الروم لما رأينا استيلاءهم على أكثرها، وغفلة ملوكهم وإهمالهم الغزو، وتواكلهم وتخاذلهم، وإيثارهم الراحة، وإنما همة أحد كأس يشربها وقينة تسمعه، ولهو يقطع به أيامه"⁴.

وراهنت السلطة السياسية في جهودها الاصلاحية على ايجاد حلولاً لوقف والحد من المنكرات واقامة الحدود في إطار الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. اذ لزمّت تحويل هاته الجهود الدينية وهيكلتها وفق شرعية ادارية تكفل لها ذلك⁵. كما راهنت أيضاً على نظام العقوبات التأديبية الذي سعت من خلاله القضاء على الانحراف وضبط النظام في المجتمع.

¹ محمد القبلي، حول الاصلاح واعادة الاصلاح بالمغرب الاوسط، مجلة المناهل، العدد 69-70، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، 2004، ص 9.

² ابن عذارى، البيان المغرب، المصدر السابق، ج 3، ص 121.

³ بوتشيش، ظاهرة استبداد الدولة في العصر المرابطي، مجلة امل، التاريخ، الثقافة، المجتمع، العدد 21، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2000. ص 128.

⁴ المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص 226.

⁵ خليل ابراهيم الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس، ص 209.

1: الخطط الشرعية بين الاصلاح والتوظيف السياسي.

خطة القضاء أعظم الخطط الاصلاحية في الاسلام والتي أخذت دورا كبيرا في الاندلس، وذلك لمكانة القضاء في الدين¹، وباعتبار اهمية القضاء في الحياة العامة ما جعل القاضي يتمتع بصلاحيات واسعة حتى أنه قيل " لا شرف أعظم في الدنيا بعد الخلافة متها". وانعكست مهام القضاء في الحياة اليومية وتتبعهم لأدق التفاصيل في اوساط المجتمع كون ذلك أهم وظيفة اضطلع بها القاضي في المجتمع وهي اقامة الحدود ومحاربة المنكرات والانحرافات والحد من الآفات بمختلف مظاهرها. يذكر مثال في هذا الصياغ القاضي ابي بكر ابن العربي وتشده في معاقبة الجناة، فكان له في عقابهم اختراعات مهلكات ومضحكات؛ يصفها ابن عذاري قائلا: " فانتدب أنفسا جنة صلبا وضربا...، وظل يتبع ويتشدد حتى ثقل على الفساق والاشرار فهاجوا عليه². في نفس السياق تضمنت أحكام بن سهل القاضي وتكمن اهميتها في احتواءها على شرح مستفيض لما ينبغي للقاضي العمل به من اجراءات قانونية للقضاء على الانحرافات من قبيل قضايا الزندقة والزيغ والتدليس³، وقضايا أخرى كالتى شهدها المجتمع الاندلسي عصر الطوائف نتيجة سوء الاحوال السياسية وانعدام الامن من قتل وتعدي وغيرها⁴. وازافة إلى ما سبق تذكر كتب النوازل إلى محاربة القضاء للانحرافات تعلقة بالآداب العامة والاخلاق، كمعاقرة الخمر، وارتكاب فاحشة الزنا، ومثال ذلك في حد الجلد الذي أقامه القاضي عياض على ابن خاقان حينما دخل مجلسه مخمورا، ايضا حكم الرجم الذي أقامه ابن رشد في حق امرأة زنت مرتين... كما كان توليه

¹ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص217.

² ابن عذاري، البيان المغرب، المصدر السابق، ج4، ص 93-94.

³ ابن سهل، ثلاثة وثائق، المصدر السابق، ص 25-26.

⁴ ابن سهل، الاحكام، المصدر السابق، ص 684-685.

الممتلكات الوقفية والقيام بالمحاسبة المالية السنوية وتسييرها بعد شيوع الاعتداء على الاموال واختلاسها وسرقتها¹.

كما لا تقل خطة الافتاء أهمية على خطة القضاء رغم طابعها النظري وغياب عنصر الالتزام فيها؛ اذ تقتصر على الإخبار بالأحكام الشرعية، الوعظ والارشاد. وما يتضمنه من قضايا في المجتمع. اذ تتوقف مصالح الناس عليها وبها يعرفون شؤون دينهم ودنياهم من عادات وعبادات ومعاملات وسلوك واخلاق، وبها أيضا تحفظ الحقوق وتسان الحريات من أي اعتداء وسرقة وغيرها².

وحفلت الفترة الوسيطية خاصة القرن الخامس والسادس هجريين الحادي عشر والثاني عشر ميلاديين (ق 5هـ/6هـ) (11م/12م) بالنوازل الفقهية لما اقتضته من احداث مستجدة ما تطلب نت المفتين لصياغة اجوبة عن التساؤلات المطروحة، مع مراعات مواءمة بين ثوابت الشرع ومتغيرات المجتمع في عصر الطوائف المليء بالصراعات والفتن، وتطلب استحداث آليات جديدة للتعامل مع النوازل كاعتبار عامل العادة والعرف والذي جرى عليه كثير من المفتين في الاندلس³. ولعبت مؤسسة الإفتاء دورا هاما في استيعاب مشاكل المجتمع والتكيف معها كدورها في محاربة الزيغ واهل البدع والوقوف في وجه الافكار الخارجية ومواردات النصارى، من خلال الفصل في الاحكام الاغتصاب وحرمة التعدي والغش وغيرها...

¹ يقول ابن قزمان في دور القاضي ابن الحاج في حماية الأعباس ومنع التعرض لها، وأنت تحكم في المناكح والغصب والدين والأعباس، إصابة الأعراض، ص 323، رقم الزجل 97.

² شرحبيلي محمد بن حسن، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، ص 334.

³ عمر جيدي، العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومهما لدى علماء المغرب، ص 342.

2: النظام العقابي بين خطاب الشرع وضوابط الردع.

عملت السلطة السياسية في الخطط الاصلاحية على نظام عقابي بين الشرع وعقوبات اخرى تقوم على فرض القوة والعنف كوسيلة السجون¹. والحكمة من مشروعية العقوبة في الفكر السلطوي (السلطة السياسية) هي اقامة الحدود وزجر الناس في ظل تفشي ظواهر جديدة وخرافات وعديد الانحرافات في المجتمع الاندلسي. اذ تضمنت كتب الفقه والنوازل وبشكل تفصيلي انواع من العقوبات الشرعية الخاصة بمختلف الجرائم من قتل وسرقة وحرابة، القذف، شرب الخمر والزنا... وانواعا اخرى من العقوبات وهي التعازير طبقت عند ارتكاب انحرافات لا ترقى إلى الجرائم التي ورد فيها حكم شرعي فكانت عبارة عن اجتهادات. هاته التعازير كانت بين الضرب والتوبيخ الشفوي أحيانا تزيد عن السجن والتغريم في حالة الغش والتدليس، كبيع السلع المغشوشة في الاسواق.

ودرج بعض الشيوخ عقوبة التشهير بالجاني امام الناس والنداء عليه بذنبه كما اجازوا بخلق شعره وذهبوا بجواز تسويد وجهه لما له من آثار نفسية عميقة على صاحبها. يصف مثل هذا العقاب ابن عذارى أمرض العقاب وأشد من العذاب هذا في حديثه عن رجل صدر في حكمه اللعن في سائر البلاد بأمر من القاضي ابي بكر بن العربي حينما عثر عليه وهو يحمل خمرا، ما أدى التشهير به إلى ترك البلدة. حيث كان يحمل الجاني على حمار ويطاف به في البلاد منادون بجريمته، كما فعلوا بالأحدب وجنايته ان مارس اللواط مع فتى².

كما تعرض ابن السقاء الذي نتفت لحيته وخلعت أنيابه حتى أضحى شأنه عجيبا وهذا في حق جرمه، كما شاع في اوساط المجتمع حلق لحية الجاني وكذا راسه كتأديب للمنحرفين³. هذا وان كانت النصوص الفقهية كفيلة بان تكشف لنا دون جهد او عناء

¹ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 219. 220.

² الوثنريسي، المصدر سابق، ج2، ص 416.

³ ابن عبدون، آداب الحسبة، المصدر السابق، ص 55.

مختلف العقوبات المعمول بها في الاندلس عصر الطوائف. اذ لم يكن من السهل القضاء على الانحرافات في اوساط الاندلس الذي اضحى شتات من الطوائف، وهذا لما تطلبتته التغيرات الاجتماعية ومشروعية السلطة¹.

يستفاد مما ذكرته تصادر موضوع البحث أن نظام العقوبات كان قائما وفق النصوص الشرعية وآليات عقابية قانونية تتحكم في تسيير دولاب السلطة وحكم الرعية، بعيدا عن العنف السياسي فوقفت على بعض الاجراءات من اجل القضاء على ظاهرة الانحراف في المجتمع الاندلسي عصر ملوك الطوائف. وأحيانا نجد ان السلطة تشددت في مسألة العقاب كما تذكر المصادر أن هذيل ابن رزين صاحب السهلة كان غليظ العقاب، اذ حدثت بعض التجاوزات في اقامة العقوبات كحد القتل الذي غالبا ما كان يتم تنفيذه على انحرافات وجرائم لا تستوجبها، يذكر ان في ولاية علي بن حمود نقرا في سيرته انه امر بقتل رجل من البربر امتدت يده إلى اخذ عنب، وطالب بان يطوف براسه في سائر البلاد².

تشدد ابن حمود جاء للقضاء على التجاوزات وبعض مظاهر الفوضى والفساد التي صاحبت قدومه إلى السلطة بعد الفتنة القرطبية، ووصل الامر به إلى معاقبة الجاني بالطواف برأسه لزرع الخوف والرعب في كل من يحاول أن يخل في النظام العام³.

ولإعادة هيبة الدولة لم يكتفوا بالقتل واتخذوا آليات أخرى كحرز الرؤوس والعبث بالأجساد وتقطيع الاوصال... وتكشف بعض النصوص التاريخية أن السلطة السياسية عمدت اتخاذ

¹ الحسين بولقطيب " نظام العقوبات والسجن في المغرب الوسيط مساهمة في دراسة العقل التأديبي المغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة فكر ونقد، العدد 23، السنة الثالثة نوفمبر، 1999، ص48.

² ابن عذاري، البيان المغرب، المرجع السابق، ج3، ص 182.

³ حميد الحداد، السلطة والعنف في الغرب الاسلامي، نايا للدراسات والنشر والتوزيع، محاكات للدراسة والنشر والتوزيع، دمشق، 2011. ص 298.

آليات تعذيبية بالإضافة إلى قطع الرؤوس والافصال (قطع اليدين والارجل واللسان) رغبة في وسم الجاني وتذكيره بجنايته¹.

ويذكر ابن الآبار أن أبا الوليد محمد بن عمر بن المنذر سملت عينه بعد سجنه وذلك لمساندته لثورة المتصوف ابن قسي، وعمد القاضي بن العربي إلى التشدد اذ بثقب شدي أحد الزمرة بإشبيلية، كعلامة تأديبية لتذكير الجاني بجريمته².

ان التحول الملاحظ في العملية العقابية على حسب أهداف تأديبية فالانتقال من عقوبة القتل إلى بتر الاعضاء وترجع هذه إلى التغيير الحاصل في المجتمع الذي ألف الذهنية العقابية والسيطرة السلطوية، فعزمت السلطة إلى التلوين في اسلوب العقاب كالبتير وتعني بتر الفرد الجاني من المجتمع. والواقع التاريخي يبين وجود تجاوزات متعلقة بالحدود اذ كان يتم اقامة الحدود دون مراعاة النص الشرعي. ما دفع المحتسب ابن عبدون إلى عدم تنفيذ حكم الضرب مثلاً.

ثانياً: دور علماء الدين والقضاء.

تمثلت مساهمة الفقهاء في تنظيم الحياة الاجتماعية وقيامهم بالدور الفعال في العملية الاصلاحية للمجتمع الأندلسي الذي عمت فيه الانحرافات والآفات خاصة عصر الطوائف، هذا الدور كان وفق مبدأ " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " يرجع هذا العمل الفعال للفقهاء لتكوينهم الديني وعلاقتهم بالمجتمع، بحسب ما ذهب اليه الفقيه ابن حزم³. الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه لا يجوز أن يدعو إلى الخير الا من علمه، ولا يمكن ان يأمر بالمعروف الا من عرفه ولا يقدر على انكاره الا من ميزه. وعلى هذا تبلورت خطاباتهم

¹ حميد الحداد، المرجع السابق، ص 298.

² ابن عذارى. المصدر السابق، ج4، ص 93.

³ ابن حزم، الاحكام في فصول الاحكام، المصدر السابق، ج1، ص 127.

الاصلاحية، وهو ما يؤكد عليه ابن رشد الحفيد بقوله: "إن القول الديني خطاب موجه إلى الناس كافة لان هدفه تقويم السلوك"¹.

فاضطلع على الفقهاء مهمة الاصلاح في المجتمع ساعين بذلك وفق آليتين: التنقيف الديني والتوجيه التربوي وآلية الوعظ والارشاد وعلى المستويين السلطوي والاجتماعي الشعبي أملا بذلك في توجيه السلوك ومحاربة ظاهرة الانحراف التي تفشت في أوساط مجتمع الاندلس وكذا الوقوف على الاختلالات التي أضرت بالنظم القيمية للمجتمع.

1. التنقيف الديني والتوجيه التربوي.

دور الفقهاء في مجال التنقيف والتوجيه في المجتمع الاندلسي كان على اعتبارين هما فهم دور وتأثير الدين في المجتمع بصورة عامة (تنظيم سلوك الفرد وتحسينه من الانحراف) اضافة إلى فهم طبيعة الثقافة الدينية السائدة، وعلى هذين الاعتبارين يتجلى لنا دور الفقهاء في هذا الميدان وما عملوا عليه من اصلاحات.

حظي الفقهاء في المجتمع الاندلسي بمكانة تليق بمقامهم، وذلك بوصفهم بسلطة العلم والسلوك، اذ عول عليهم في نشر الافكار الصحيحة وسط المجتمع وتجنبيه لأي انحرافات. وهو ما تعكسه عديد المصنفات الفقهية اذ حوت كتونا خاصة بالعبادات، ومصنفات لأجوبة المفتين على انشغالات الناس. كما عنى الفقهاء بتعليم الناشئة الطين الصحيح وتلقينهم للآداب لتقويم السلوك وشملت ايضا الجوانب الروحية والاجتماعية².

وفي هذا الباب يقدم ابو الوليد الباجي نموذجا عن الفقيه والمربي الذي حاول نقل تجربته الدينية لوالديه، اذ عمل على نقل تدينه لولديه بتلقينهما ديناً كاملاً جمع بين الفكر والسلوك³.

¹ سامي شهيد الميالي، الفلسفة الاخلاقية عند ابن رشد، ص 160.

² ابن بشكوال، الصلة، المصدر السابق، ج2، ص 857.

³ النصيحة الوليدية، وصية ابي الوليد الباجي لولديه، تح، ابراهيم باجس عبد الحميد. ص 18. 25

فالتوجيه التربوي والتنقيف الديني يجمع بين الفقه والعقيدة والسلوك ومن خلالها يسمو الفرد عن الضلال والانحراف؛ وعليه تكتمل أهمية اصلاح المجتمع وتستقيم النظم السياسية والاجتماعية. اذ سعى هؤلاء الفقهاء إلى تحصين الفرد في المجتمع الاندلسي من الشبهات والبدع في ظل التجاذبات مع النصارى والتقارب بين إثنيات المجتمع خاصة العامة كانت شديدة التأثير وذلك لجهلها ولقوة الروح النصرانية الشديدة، اذ عمل الفقهاء على منعها ومحاربتها واكراه المجتمع عليها والا هوت بالمجتمع إلى الزيغ والتبدع والانحراف¹. ومن الفقهاء الذين حملوا عبأ كبيرا في حماية المجتمع والعقيدة نجد المقرئ ابو عمر الداني (444هـ / 1052م).

2. الخطاب الوعظي والارشادي.

اصلاح المجتمع مطلب شرعي يقوم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان من واجهته الفقهاء. بالإضافة إلى الدور الدعوي للفقهاء كان عليهم ايضا القيام بالحسبة على السلطة والرعية محاولة منهم لتقديم النصح من جهة ورفع الانحراف من جهة اخرى...

كان للتبدلات السياسية والاضطرابات الاثر الواضح في ظهور الانحراف، وهذا منذ ذهاب رسم الخلافة (422هـ) وانغماس الحكام في اللهو والترف والدعة واهمالهم لشؤون الرعية في المجتمع الأندلسي المستفيض بالفوضى والفساد حيث كان يفيش على صفيح ساخن أي تقلب يهلكه ويؤدي به إلى الانحراف. وان فساد الرعية من فساد الحكام، اذ كان الاصلاح يبدأ من اصلاح الحكام فكثير ما وجه الخطاب والارشاد إلى الحكام اولا بالدعوة لهم بصلاح رأيهم وسداد امرهم ثم الانتقال إلى خطاب الرعية بالالتزام بتعاليم الدين وتجنب الموبقات والمهلكات من الآفات والانحرافات كتجنب الغش والسرقه والابتعاد عن الملهيات

¹ ابراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، دراسة للصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الخامس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005. ص 141.

من شرب للخمر وزنا وتعدي وقمار وكل ما تسرب إلى المجتمع من النصارى ولم يألفه المجتمع الاندلسي المسلم¹.

والتغييرات التي أحدثها كثير من الفقهاء الاندلسيون على المجتمع الاندلسي جمعت بين الغاية الدينية والواقع السياسي، منهم ابن حزم، ابن عبد البر القرطبي، والحضرمي، والطرطوشي... جسدت هاته التغييرات كتب الآداب السلطانية جمعت بين النصيحة والاستشارة. وتقوم هاته الكتابات على مبدأ نصيحة اولى الأمر، اذ تضمنت مجموعة هائلة من النصائح الاخلاقية والقواعد السلوكية الواجب على الحاكم اتباعها خاصة طرق التعامل مع الرعية.

وممن تصدر من الفقهاء في ابداء النصيحة والوعظ السياسي الموجه إلى ملوك الطوائف نجد الفقيه ابن حزم الظاهري، وطعن في شرعية حكمهم ووصفهم بالمحاربين لله وبأنهم ساعين في الارض فسادا، ويقول بأنه من الضروري تقديم النصح والوعظ لهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر².

3. الإصلاح الصوفي بين السلم والعنف.

وجدت عديد من الرؤى الصوفية تتبعت المواقف الإصلاحية في المجتمع الاندلسي عصر الطوائف، ثم تطورت هاته الرؤى لتصبح تيارا دينيا واجتماعيا. حمل هذا التيار مواقف وخطابات تماشت مع منطلقاته وغاياته الإصلاحية، فظهر تيار التصوف في الاندلس وتطور خلال القرنين الخامس والسادس هجريين (11م/12م) وتعددت الرؤى الإصلاحية الصوفية بتعدد التيارات الصوفية كالتيار الصوفي السني والفلسفي.

وانطلاقا من هاته الرؤى شكل المتصوفة حراكا كبيرا في العمل الاصلاحى في المجتمع الاندلسي محاولة منهم لإعادة بناء المجتمع المتهالك في الذهنية والاخلاق مركزين في ذلك

¹ ابن رضوان المالقي، مصدر سابق، ص 63.

² كمال عبد اللطيف، في تشريح اصول الاستبداد، ص 189.

على اصلاح السلوك العام وتأطيره، تعني بتزكية النفس وتقويم الاخلاق على نسق التصوف السني القائم على الاعتدال والرجوع إلى احكام الشريعة في طابعه الاخلاقي والسلوكي¹.

ومع مرور الوقت انتقل الإصلاح الصوفي من الرؤية المسالمة إلى العنف الثوري مع التصوف الفلسفي، الذي جسده ابن قسي قائد ثورة المريدين في الغرب الاسلامي مستعينا بالسياسة والعنف لغرض الإصلاح، وشملت كل من الرؤية المسالمة والمتطرفة على تصورات كبيرة في الإصلاح.

أ / الرؤية الإصلاحية المسالمة.

نظرا لما اعتري المجتمع الاندلسي من انحرافات، كانت الرؤية الصوفية المسالمة قريبة من المجتمع وساهمت في اصلاحه انطلاقا من افكار الامام الغزالي رحمه الله(508هـ/1111م)، هذا من جهة وتبعت من جهة اخرى أساليب لنشر تصوراتها الإصلاحية مستخدمة في ذلك اسلوب التمويه مثلا؛ وهذا لما لاقته من اضطهادات من قبل السلطة السياسية الحاكمة آنذاك، رغبة من السلطة في انفرادها بمشروعية الحكم واحتكارها للعمل الإصلاحي. الامر الذي دفع بها لاتباع اسلوب الكرامات والمناقب وهي خطابات غير مباشرة. تمكن هاته الاخيرة من بعث ونشر تصوراتها الإصلاحية دون صدام مع السلطة السياسية وفقهاءها المالكية².

ب/ الاتجاه الغزالي ابن برجان وابن العريف.

ان نصوص الاحياء المعتمدة في الخطابات الإصلاحية كان لها تأثيرها الخاص في بناء الفكر الإصلاحي، اذ مثل المؤلف "الاحياء" مرجعية هامة في قضايا الإصلاح لا سيما الإصلاح الاجتماعي في المجتمع والاسلامي مشرقا ومغربا³.

¹ حميدة صالح البدوي، فلسفة التصوف في الشعر الاندلسي، ص 73.

² بن خيرة رقية، الآفات والانحرافات، المرجع السابق، ص 305

³ زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد الفكر الاسلامي، ص 16.

ومع انتشار كتاب الاحياء تباينت ردود الافعال في موقفها من الكتاب بين مؤيد ومعارض في اوساط المجتمع الاندلسي، وتناثرت اخبار احراق كتب الاحياء. وذكرتها عديد المصادر التاريخية وتناولت حيثيات واسباب الحادثة ونظرت إلى تداعياتها على الساحة الفكرية والاجتماعية في الاندلس¹. وبالرغم مما حدث وواقعة احراق كتاب الاحياء للغزالي اشتهر الكتاب وعدة من الكتب المرجعية في الفكر وتوجيه السلوك، وتظهر هاته القيمة في الإصلاح في الآراء المعرفية والتربوية لهؤلاء المتصوفة على غرار ابن برجان وابن العريف².

ج / الخطاب الإصلاحی الرمزي: المناقب والكرامات.

إن انتشار تيار التصوف في مجتمع الغرب الإسلامي عامة والاندلسي خاصة واكتساحه للنسيج الاجتماعي وانخراطه ضمن ممارساته الدينية خلال القرن السادس الهجري/ 12م، قابله وجود مواكبة تدوينية تزامنت وتشكل الكتابة الصوفية وتطور خطابها؛ هذا الأمر أدى إلى وجود أدب مناقبي سعى إلى تدوين سير هؤلاء المتصوفة بما تشتمل عليه أحوالهم، وكراماتهم، وأدوارهم الدينية والاجتماعية ضمن نصوص كتابية قادرة على الحفاظ على ذكرهم ووجودهم في المجتمع، لذا أضحي هذا الأدب يعنى بالدرجة الأولى بهم، وصار يطلق عليه أدب المناقب³.

خطاب المناقب يمثل إنتاجا صوفيا محضا، يعنى في الأساس بذكر المناقب دون المثالب؛ فهو يعمل على إبراز محاسن ومآثر وفضائل من يترجم لهم، لذا يجد المتمعن في بنيته الخطابية أنه يرتكز أساسا على ذكر ما هو إيجابي ويقصي ما هو سلبي، ولا شك في قدرة خطاب المناقب على تأسيس خطاب إصلاحي في المجتمع الأندلسي لكونه يعنى بالممارسات السلوكية والأخلاقية الفردية التي يسمح رصدها على المستوى الفردي من

¹ محمد يعقوبي البدرائي، احراق كتاب الاحياء في الغرب الاسلامي، مجلة المناهل، عدد 9، ص 314.

² ابن الآبار، المعجم ص 19/ ينظر: عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية المغربية والاندلسية ق 6هـ. ص 119.

³ أيوب بن حود، بلقاسم مالكية، "أدب المناقب: المفهوم والجذور"، مجلة مقاليد، العدد 10، مجلة قاصدي مرباح، ورقة 2016، ص 68.

تأطيرها ضمن حضور جماعي؛ ينطلق من التأريخ للجماعة بالفرد والتأريخ للفرد بالجماعة¹.

و خطاب المناقب لا يعتمد على ذكر المحاسن والمآثر وحسب، وإنما يعتمد كذلك على ذكر الكرامات وخوارق العادات، فالكرامة تشكل ثابتاً هاماً في بنية النص المنقبي؛ إذ لا تتفصل عنه بأي حال من الأحوال؛ بل وتعد جزءاً لا يتجزأ منه لكونها تلج ضمن المحاسن والمميزات التي تفرد بها المتصوفة عن غيرهم من العامة والخاصة؛ فهي وفق التعريف الصوفي: " كل فعل خارق للعادة ظهر علي يد عبد ظاهر الصلاح في دينه متمسك بطاعة الله في أحواله مستقيم الطريقة في تصرفاته"؛ ويفهم من هذا التعريف أنّ الكرامة وفق العرف الصوفي لا تحصل إلا على يد ولي أو متصوف اصطفاه الله دون غيره من البشر لطاعته وتقواه؛ فكانت له الكرامة تخصيصاً وتفضيلاً².

إن هذا التخصيص والتفضيل من شأنه أن يرفع درجة المتصوفة ويرتقي بهم إلى مصاف الأنبياء في المخيال الصوفي؛ فكرامات الأولياء هي معجزات لنبينا محمد ﷺ ينالها هؤلاء ببركة أتباعه"، ولعل هذا الأمر كان السبب في إثارة جدل حاد حولها، بحيث تباينت المواقف بين صحتها ونكرانها؛ فإذا كان التيار الصوفي ومن منطلق حظوته بها أكبر القائلين بصحتها والمدافعين عنها؛ فإن التيار السني المالكي يقر هو الآخر بصحتها، ويتجلى ذلك في موقف القاضي ابن رشد الذي أقر بصحتها واعتبر انكارها بدعة، بل ذهب أبعد من ذلك حينما عد كل منكر لها من أهل الزيغ والضلال³.

¹ بن خيرة رقية، الآفات والانحرافات، المرجع السابق، ص 312-314. / ينظر: محمد مفتاح، "الواقع والعالم الممكن في المناقب الصوفية"، ضمن كتاب التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات عكاظ، المغرب، 1989، ص31.

² العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى)، تح، أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، المغرب، دت، ص23.

³ طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين / 12 و13 الميلاديين، نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي، والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 177.

إن طبيعة الكرامة باعتبارها عملا خارقا للعادة ارتبط بقوى غيبية ومشاهدات سحرية وخرافية لا يعتقد بها إلا السذج من الناس، انعكست على حضورها في حقل التاريخ فظلت تشكل - وإلى وقت قريب ظواهر غيبية خارج نطاق اهتمام المؤرخ واشتغاله التاريخي، بينما شكلت في الواقع افرازا لظرفية تاريخية صعبة ألفت بظلالها على النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولعل هذا ما تنبه إليه أحد الباحثين المحدثين الذي ذهب إلى اعتبارها: " بنية عقلية مرتبطة بنمط مجتمعي ، وبأسلوب معيشي في الوجود، وهي ممارسة لمعتقد ديني وتأکید لهذا المعتقد¹.

نخلص إلى أن الخطاب الصوفي الرمزي بشقيه المناقب والكرامات استطاع أن يكون لنفسه رصيда معرفيا أهله لاقتحام سلطة النصوص والخطاب التي عادة ما تحتكرها السلطة القائمة فعمد إلى الرمز والايحاء وارتحن إلى الباطن والمضمر ليخلق بذلك نماذج سلوكية وأخلاقية ستكون بمثابة آليات إصلاحية، على أن فهم خطابها الرمزي لا يتأتى إلا بفك رموزه ودلالاته وربطها بالظرفية التاريخية التي ألفت فيها هذه المناقب، وكذا وضعها على جانب من المقارنة والمقاربة مع المتون المصدرية الأخرى ضمن سياقها التاريخي والاجتماعي².

ثالثا: مواقف إصلاحية لشعراء وفلاسفة مصلحون.

أحدثت ظاهرة الانحراف في المجتمع الأندلسي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (ق 11-12م) توسعا للمواقف والجهود الإصلاحية؛ فلم تعد تقتصر على الإصلاحات التي تبنتها السلطة السياسية، أو الدينية - الفقهية والصوفية وحسب، وإنما امتدت إلى مواقف إصلاحية أخرى شملت التصورات التي تبنتها النخب العالمة كالشعراء والفلاسفة، أولئك الذين تبنوا أفكارا إصلاحية تحت غطاء النقد الاجتماعي، وبالاغتماد كذلك

¹ على زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والعلم القطاع اللاواعي في الذات العربية، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ، 1984، ص 83 / بوتشيش، المغرب، المرجع السابق، ص 141/ بوتشيش، المهمشون ص 183.

² بن خيرة رقية، الآفات والانحرافات، المرجع السابق، ص 324.

على الخطاب الرمزي الفلسفي؛ فما هي إذن أبرز تصوراتهم الإصلاحية؟، وكيف راهنوا عليها لتجعلهم طرفا إصلاحيا له قوته وفاعليته في المجتمع الأندلسي وقتئذ؟.

1. الشعر الاجتماعي النقدي والإصلاح

إذا كان الشعر السياسي قد عرف ذيوعا وانتشارا نتيجة لطبيعة الحياة السياسية والحروب التي شحذته وساهمت في تطوره خلال عصري الطوائف والمرابطين؛ فإن الشعر الاجتماعي شهد هو الآخر ذيوعا وانتشارا في ظل ظرفية تاريخية واجتماعية ساهمت في نشأته وتطوره كذلك، ثم إن هذا القول لا يمكن أن نركن إليه دون أن نقدم بعض القرائن التاريخية التي سيكون لها فضل التوضيح والإيضاح لتلك العلاقة التفاعلية بين نشأته والظرفية التاريخية التي أوجدته.¹

أفرزت ظاهرة الانحلال الاجتماعي والخلقي التي شهدتها المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين تيارا شعريا اجتماعيا اتخذ من النقد والاستهجان وسيلة إصلاحية كان غرضها نقد أوضاع المجتمع بغية إصلاحها؛ فالشاعر ابن بيئته يتأثر بها سلوكيا وثقافيا، فهو يعكس ضمن تجربته الشعرية كل قضاياها ومشاكلها، والأهم من ذلك أنه يطرح لها حولا وتصورات إصلاحية لما يتطلع له هو كفرد أو ما تتطلع له الجماعة ككل.

الأخذ بهذا المنطلق لا يكفل الوقوف على تجربة الشاعر الخطابية بقدر ما يكفل الوقوف على وظيفتها الاجتماعية وما تضمنته من غايات وأهداف إصلاحية، خاصة إذا تمت قراءتها ضمن سياقها التاريخي وتم ربطها بظرفيتها الاجتماعية.

عادة ما يركز الشعر الاجتماعي على الهجاء في المقام الأول، وهذا ما يجعله أكثر الأغراض الشعرية قدرة على النقد والإصلاح، وذلك لقدرة الشاعر على النفاذ في صياغة خطابه الهجائي إلى مواطن العيب والخلل والتنبيه إلى مواضع القصور والنقص ليلتقطها بعينه الناقدة.

¹ فوزي عيسى سعد، الهجاء، ص 135.

يتميز هذا الشعر بكونه الأكثر صدقا وعمقا في تصوير سلوكيات المجتمع الأندلسي وأخلاقه التي عادة ما يوظفها الشاعر في شكل قالب شعري تمتزج فيه مشاعر السخط والرفض التي تتزاحم في نفسيته وتتفاعل معها، لتظهر في شكل هجاء لما هو مستنكر ومستبشع في مجتمعه، فمن هذه الناحية يعد الأنسب مقارنة ببعض الأغراض الشعرية الأخرى التي ترتبط بالمناسبات كالمدح أو الفخر أو الرثاء وغيرها، بحيث يطغى عليها التزلف والمبالغة، كما أنّها لا تخلو من أغراض ذاتية وتجارب شخصية لا تعكس بعدها الجماعي بقدر ما تعكس البعد الفردي، وهذا ما يجعلها بعيدة كل البعد عن تقويم المجتمع وإصلاحه.

يستطيع هذا اللون الشعري وفق هذه الخاصية الفنية والاجتماعية من أن يتغلغل إلى صميم الواقع الاجتماعي الأندلسي، ومن ثم فهو قادر على أن يعكس كل قضايا من قبيل مظاهر الفساد السياسي كالظلم، أو الهزيمة في الحرب، وكذا الخلل الإداري، والتقايس في جهاد النصارى وما آلت إليه الخطط الشرعية من تراجع لوظائفها الدينية والاجتماعية، كما أنّه يعكس أيضا مظاهر الفساد الاجتماعي؛ إذ يعتمد إلى تصوير أخلاقيات المجتمع الأندلسي وما عرفه من انتشار للرذائل والآفات الخلقية والاجتماعية، لذا فهو يعد الأنسب للاتجاه النقدي الإصلاحي القائم على الاستنكار وتوضيح السلبيات والنقائص لتجاوزها وفق ما يتطلع إليه الشاعر من بناء مجتمع مثالي وخال من الانحراف بالتركيز على المخاطب وحمله على أن يسلك سلوكا معينا.¹

أعرض مصنفي الكتب الأدبية وكذا جامعي المختارات الشعرية في الأندلس عن إيراد الهجاء الاجتماعي ضمن مصنفاتهم واستكفوا عن ذكره على اعتباره لونا أدبيا مستهجنا ذوقا وأخلاقا، الأمر الذي انعكس على حضوره في المصادر الأدبية بما لا يتيح ذلك الاعراض من استغلال مادته التاريخية والاجتماعية؛ إذ جل ما وصلنا من هذا الشعر لا يعدو أن يكون أبيات ومقطوعات شعرية متناثرة هنا وهناك قيلت من باب وفق ما يتمشى والحس الفكاهي

¹ محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 72.

للأندلسيين، وكننتيجة حتمية لانتشار مجالس اللهو والمجون التي كانت فرصا سانحة لقوله بعيدا عن الرقابة الدينية والأخلاقية.

إن هذه الشذرات الأدبية الخاصة بشعر الهجاء الاجتماعي -على قلتها- تقدم لنا معطيات هامة عن مواضيعه وعن الفئات الاجتماعية التي كانت عرضة لهذا النقد، وكذا الأساليب والآليات التي كان يعتمد إليها أصحاب هذا الاتجاه، كما تعطينا أسماء لبعض الشعراء الذين ساءت لهم أوضاع مجتمعهم واضطراب أحواله؛ فعمدوا إلى الهجاء الاجتماعي وتمثلوه بشعورهم الوجداني المسكون بالرفض والسخط والاستنكار في شكل أبيات نقدية واستهجانية¹.

يجمع هذا اللون الشعري بين السخرية والهجاء في توليفية شعرية خاصة ينتج عنها هجاء ساخر تكون غايته إضحاك المتلقي والسامع والخط من قيمة المهجو والانقاص منه في صورة منفرة تحمل معها شعورا بالتفوق والاستعلاء عليه لكونه يتصف بصفات وسلوكيات لا يرتضيها مجتمعه بل ويمقتها أيضا، وعليه يركز على السخرية والتهكم والتندر التي يتم إدراجها ضمن بنيته النصية كأساليب وآليات اشتغالية يستثمرها الشعراء من أجل مقارنة موضوعات تثير الكثير من الحساسيات وبحصانة تغنيهم عن الوقوع في المحرمات والمحظورات الممنوعة من التداول والاستهلاك في الخطاب السلطوي المهيمن؛ فالهجاء يشكل وفقا لهذا منتصف الطريق بين الواعظ الفكاهي، بحيث تكون له غاية الأول ويستعمل سلاح الثاني.

2. فلاسفة - مصلحون: ابن باجة وتدبير المتوحد

عرف ابن باجة (ت533هـ) بوصفه فيلسوف الأندلس وإمامها بشهادة العديد ممن ترجموا له، وقد ارتبط اسمه بكتابه تدبير المتوحد، هذا الأخير الذي نظر فيه لمدينته الفاضلة أو الكاملة وجاء على ما يبدو كوسيلة لإصلاح مجتمعه وفق منظور فلسفي أخلاقي يصبو إلى تحقيق الوجود الإنساني على أكمل صورة في كل فرد لينتقل بعدها إلى المدينة الفاضلة

¹ فوزي عيسى سعد، الموشحات والأزجال الأندلسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 135-137.

كلها، وهو ما سنعمد على توضيحه من خلال قراءتنا له وربطه بالظرفية التاريخية التي ألف فيها قصد الوقوف على تمثيلات الفكر الإصلاحي لابن باجة في تدبيره هذا¹.

يستدعي هذا الأمر تتبع سيرة ابن باجة وربطها بالخطاب الذي أنتجه في ظل ظرفية تاريخية وتحت إكراهات سياسية واجتماعية معينة في الصراعات المتتالية التي لم ينج منها الاندلس، ويبدو أنه كان لاتجاهه الفلسفي المكروه والغير مألوف في المتخيل الأندلسي لدى الخاصة والعامة على حد سواء، حتى أن الفتح ابن خاقان اتهمه بالتعطيل ونسب إليه الانحلال على مذهب الفلاسفة والحكماء، والملاحظ أن تهمة كهذه في حق ابن باجة ليست جديدة في ظل مجتمع كان يستهجن مثل هذه العلوم ويعتبرها كفرا وزندقة وخروجاً عن الدين، غير أن اللافت للانتباه أن هذه التهم كانت بسبب عداوة بينهما سكنت المصادر عن ذكر أسبابها².

الفيلسوف ابن باجة (ت533هـ) لم يكن منعزلاً عن السياسة والمجتمع، فالمصادر تثبت أنه تقلد وتقلب المناصب فيها بحيث ولي الوزارة، كما كانت له علاقة طيبة مع الأمير المرابطي ابن تيفلويت صاحب سرقسطة إذ كان منادماً له، ويرجح أنه هو الذي ولاه أمر سرقسطة إلى غاية سقوطها في يد النصارى، هذا السقوط الذي غير من حياته بحيث حمله المرابطون نصيباً من مسؤوليه ضياعها؛ فسجن ثم أطلق سراحه، ثم أعيد سجنه بتهمة الزندقة، وبقي كذلك متقلباً في المناصب إلى أن توفي مسموماً بفاس سنة 533هـ/1139م³. وفي ظل هذا الاضطراب الذي عاشه ابن باجة وتقلب حياته وتعرضه للنكبات، أن يعكس هذا الأمر على كتابه تدبير المتوحد الذي ذهب الباحث علي أومليل للقول بأن القصد منه تدبير النفس وليس تدبير المدن؛ بحيث جعل من التدبير الفلسفي عزلته الداخلية وسياجاً بين ذاته وبين مجتمعه، وهو أمر يحمل جانبا من الصواب ذلك أن ابن باجة قد أثرت فيه

¹ ابن سعيد، المغرب، المصدر السابق، ج2، ص119، رقم الترجمة 435 / ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج4، ص429، رقم الترجمة 670/المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص17.

² ابن خاقان، قلائد العقيان، المصدر السابق، ص931.

³ نفسه، ص935 - 946.

هذه النكبات بكيفية جعلته يعيش غربة فكرية وسياسية وعزلة دفعته إليها نزعتة العقلانية التي فقهت واقع مجتمعا بما جعلها ذاتا متوحدة.

هذه الرؤى الإصلاحية لم تكن تواكب ومستجدات المجتمع الأندلسي، وأن هاته الأحداث لم تقع دفعة واحدة وإنما تراكمت وتواترت على فترات، الأمر الذي جعل هذه الرؤى غير واضحة الأهداف ولم تتميز بالفاعلية، وانشغلت بالأحداث الآنية وبالمواقف الظرفية الانفعالية والعشوائية أحيانا أخرى؛ فأبعدها ذلك من أن تصل إلى الأهداف المرجوة من مواقفها الإصلاحية.¹

واقع الإصلاح في المجتمع الأندلسي الذي لم تعد له فاعلية تذكر في ظل عدم مواكبته للتحويلات التي شهدتها الأندلس على المستوى السياسي والاجتماع والاقتصادي، وكذا نتيجة التحويلات الحاصلة والتبدلات السياسية وكذا التغير في الذهنيات، هذا الانتقال والتحول حتم الزامية التحديث والتغيير في الآليات الإصلاحية وفق ما استجد في المجتمع الأندلسي ووفق ما يتماشى كذلك مع طبيعة الذهنية الأندلسية التي تختلف كثيرا عن نظيرتها المغربية، وهذا ما فتح المجال للمشاريع الإصلاحية التي جاءت لتدارك الوضع وإصلاح انحراف المجتمع الأندلسي كما في العصر المرابطي والمشروع الاصلاحي الموحي.²

¹ بن خيرة رقية، الآفات والانحرافات، المرجع السابق، ص 340.

² نفسه، ص 346.

خاتمة

خاتمة:

يستفاد مما عرضناه من فصول موضوع وتلخيصا لكل فصل وما توصلت إليه من نتائج:

أن دراسة الآفات الاجتماعية لا يأتي إلا بدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الأندلسي وعناصره في القرن (5هـ/11م)، فمن خلال ما استعرضناه من تاريخ الأندلس في هذه الفترة لاحظنا أن المجتمع الأندلسي ينقصه الاستقرار والهدوء في جميع مناحيه.

كان للتقسيم السياسي في الأندلس إلى دول الطوائف نتائج خطيرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، وعدم التشابه في الأوضاع التي طبعت الحياة الاجتماعية من دولة طائفية إلى أخرى، حيث تميزت كل منها بكيان خاص قائم على مبدأ الزعامة لأسرة من الأسر والاعتماد على قوة عسكرية لتنفيذ أهدافها، فحرص حكام الطوائف على الارتسام بسمات الملك والتلقب بشتى الألقاب الملوكية والسلطانية.

كان للوضع السياسي المضطرب أثره على التركيبة الاجتماعية، حيث ساهم في بروز نمطين متباينين من حيث المستوى الاقتصادي والاجتماعي فهناك فئة مترفة تمتلك الأموال والقصور والثروات...مثلها (الحكام القضاة، الوزراء...الخ)، وفئة محرومة سخرت ثرواتها لخدمة مصالح الفئة الأولى مثلها التجار الصغار، الزراع الفقراء...الخ)، ولكن بالرغم من اختلاف سكان الأندلس عصر ملوك الطوائف في مستوى حياتهم، وفي تركيبتهم ونظمهم السياسية... فإنهم شكلوا مجتمعا امتاز بالتحام ثقافي ولغوي وتاريخي.

أدى الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتدهور إلى بروز ظواهر اجتماعية خطيرة تركت أثرها على الجانب الأخلاقي، سواء في حالة الفقر أو في حالة الغنى، فالفقر المدقع يدفع إلى السرقة والقتل والغنى الفاحش يؤدي إلى تبذير الأموال في الترف والمجون.

خاتمة

ساهمت المظاهر السلبية التي ميزت الأوضاع الاجتماعية من غناء ورقص موسيقى، خمر، بذخ وتغزل بالغلمان، تاركة أثرها على الأخلاق التي شهدت تراجعاً ناتجاً عن السلوك المشين، الذي كان يمارسه أصحاب الشهوات والمفاسد، أما الفتن والاضطرابات التي تعرض لها سكان الأندلس من رعية وعبيد إبان عصر الطوائف أزهقت أرواح الكثير منهم، فسلبت أموالهم وأدت إلى وقوع المجاعات والأوبئة بينهم، والبعض الآخر تطلعت أنفسهم إلى الهروب من الواقع الأليم إلى الانغماس في أجواء مليئة بالملذات، وإهمالهم وعدم مبالاتهم بالقيم الدينية، وعدم احتفاظهم على نظم الإسلام عقيدة وسلوكاً، فعمت الفوضى الأخلاقية وانتشر التفسخ والانحلال الأخلاقي.

ومن جملة الاقتراحات التي نقترحها لتجنب ما وقع فيه المسلمون في الأندلس منها: تجنب الطبقية في المجتمع والتمسك بالقيم والمبادئ الدينية والاحتفاظ بنظم الإسلام وعقيدته. وعلى الرغم مما وقفنا عليه من نتائج حول الآفات الاجتماعية لبلاد الأندلس الإسلامي في ظل عهد الطوائف، إلا أنّ الدراسة تبقى محاولة متواضعة، فأعمال الإنسان مهما كانت لا تخلو من نقص، ويعلم الله مدى الصعوبات التي واجهتنا من أجل تقديم هذا العمل. ولكن بحول الله ومنه تحملنا مشقة كل ذلك بما هو مستطاع بفضل من الله وتوفيقه.



قائمة المصادر والمراجع

المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القران الكريم:

رواية ورش عن نافع

كتب الحديث:

1. أبو داود، سنن أبي داود، ج1، ص513، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم1633.
2. الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص 196، كتاب الإيمان باب التعوذ من الكفر والفقر وعذاب القبر، رقم 106. وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
3. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: مصطفى البغا، دار ابن كثير، 1407هـ / 1978م، ط3، ج2، ص 535، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، رقم 1401.

المصادر:

1. ابن الأبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي) ت: 658هـ. الحلة السيرة ، تحقيق ، حسين مؤنس ، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
2. ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) ت230هـ/1232م، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997.
3. الإدريسي حمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت 560هـ /1165م) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب، بيروت، 1988.
4. موفق الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

المراجع

5. ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني) ت: 542هـ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1979.
6. ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (558هـ/1182م)، كتاب الصلة، تح، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989.
7. أبي بكر الخلال أحمد بن محمد بن هارون (234هـ/311هـ)، الحث على التجارة والصناعة والعمل، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1407هـ.
8. أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي وعرف بالمزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997.
9. ابن جزي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تح، محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف، الكويت، د.ت.
10. ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (456هـ/1064م).
 - رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987م.
 - الرد على ابن النغريلة اليهودي، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960.
 - الإحكام في فصول الأحكام، تح، أحمد من محمد شاکر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت،
 - طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تح، إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987.

المراجع

11. شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامية، بيروت، 1993م.
12. ابن الحكم يحيى البكري الحياي الغزالي: ديوان يحيى بن الغزالي، تح محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت - دمشق، 1993م.
13. أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت، 1980م.
14. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (727هـ/1326م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
15. ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله السلماي (776هـ/1374م)، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام - تاريخ إسبانيا الإسلامية، تح، تع ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت 1956.
16. ابن خلدون عبد الرحمن (808هـ/1405م)، المقدمة، تح، محمد الشامي، شركة دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2015.
17. ابن خلكان أبو العباس محي الدين أحمد بن محمد (681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح، إحسان عباس، دار صادر بيروت، د. ت.
18. ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد (520هـ/1126م)، مسائل ابي الوليد ابن رشد، تح، محمد الحبيب التجكاني، ط2، دار الجيل، دار الافاق الجديدة، بيروت، المغرب، 1993.
19. الزجالي أبو يحيى احمد بن يحيى (694هـ/1294م) أمثال العوام في الأندلس، مستخرجة من ري الاوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تح، تع، تق، محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المغرب، د. ت.

المراجع

20. بن زكريا أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة. تح عبد السلام هارون دار الجليل بيروت، د ط، ج5.
21. ابن سهل عيسى ابو الاصبع الأسدي الجياني(486هـ/1093م)، ثلاثة وثائق في محاربة الاهواء والبدع في الاندلس، مستخرجة من مخطوط الاحكام الكبرى للقاضي ابي الأصبع عيسى بن سهل، دراه، تح، محمد بن عبد الوهاب خلاف، مرا، تق، محمد علي مكي، ومصطفى كامل اسماعيل، المركز العربي الدولي للاعلام، القاهرة، ط1، 1981.
22. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1979.
23. الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد(520هـ/1126م)، كتاب الحوادث والبدع، ضبط، تع، علي بن حسن بن علي عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1990.
24. ابن عبدون الجرسيفي، رسالة في القضاء والحسبة، نشر: ليفي بروفنسال، الجريدة الآسيوية، أفريل جوان، 1934.
25. ابن عبدون بن محمد بن أحمد التجيبي(ت منتصف القرن السادس هجري/ 12م)، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح، ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
26. ابن عذارى المراكشي أبو محمد بن عبد الله(712هـ/ 1313م)، البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب، تح، مر، ج. س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983.

المراجع

27. عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، 1986م.
28. ابن العوام أبو زكريا، الفلاحة الأندلسية، تح، أنور أبو سويلم وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، 2012.
29. أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل) ت 1331م/732هـ، تقويم البلدان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م.
30. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح، محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.
31. ابن قزمان أبو بكر عيسى بن عبد الملك (555هـ/1160م)، ديوان لبن قزمان القرطبي، اصابة الاغراض في ذكر الاعراض، تح، فيديريكو كورني، دار ابير رراق للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 2013.
32. ابن الكردبوس ابو مروان عبد الله التوزري (573هـ/1177م)، الكتفاء في اخبار الخلفاء، تح، صالح بن الله الغامدي، وزارة التعليم العالي، السعودية، ط1، 2008.
33. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
34. أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971.
35. المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م.
36. جمال الدين محمد بن منظور أبو الفضل لسان العرب المطبعة الميرية بيرلاف - مصر ط1، 1307هـ، ج2.

المراجع

37. ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم، عبد الله العلايلي، تصنيف، يوسف خياط، دار صادر، بيروت، د.ت، ج9.
38. النصيحة الوليدية وصية أبي الوليد الباجي لولديه، تح، إبراهيم باجس عبد الحميد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2000.
39. أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج11، إعداد محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمكلمة لمغربية، دار الغرب الإسلامي، رباط، بيروت، 1981م، ص246.
40. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب)، البلدان، تحقيق: محمد أمين دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
41. أبو المطرف عبد الرحمن المالقي، الأحكام، تح، الصادق الحلوي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط، 1992.
42. أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي ابن عبدون وابن عبد لرؤوف والجريسفي: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح، ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
43. ابن الحسن النباهي الاندلسي (ت 742هـ)، تاريخ قضاة الاندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

المراجع:

1. إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة دراسة للصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.

المراجع

2. أحمد الطاهري، الفلاحة وال عمران القروي بالأندلس عصر بني عباد، من نظام التثمين التعاقدى الى نمط الانزال الاقطاعى، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2004.
3. أحمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم - عصر ملوك الطوائف في الأندلس - ، مجلة البيان، الرياض، 2002.
4. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
5. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، دار المعرفة، بيروت، لبنان 1399هـ / 1979م
6. حميد الحداد، السلطة والعنف في الغرب الاسلامي، نايا للدراسات والنشر والتوزيع - محركات للدراسة والنشر والتوزيع، دمشق، 2011.
7. حميدة صالح البلودي، فلسفة التصوف في الشعر الأندلسي، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت ، 1998.
8. خليل ابراهيم الكبيسي، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس. ط1، دار البشائر، بيروت، 2004.
9. زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد الفكر الإسلامى وقضايا الإصلاح والتجديد، ط1، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، 2004.
10. سامي شهيد الميالى، الفلسفة والأخلاق عند ابن رشد"، ضمن كتاب النظرية الأخلاقية من سؤال التأسيس إلى اختراق الممارسة السياسية، مجموعة من المؤلفين، اشراف عامر عبد زيد الوائلى الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

المراجع

11. سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية.
12. محمد حقي، الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، المغرب، 2007.
13. سيف الدين سعيد المحروقي، نماذج انسانية في السرد العربي القديم، ط1، دار الكتب الوطنية، تونس، 2010.
14. شرحبيلي محمد بن حسن، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000.
15. طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين / 12 و13 الميلاديين، نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي، والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.
16. قجة محمد حسن، محطات أندلسية في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، ط1، دار السعودية، جدة، 1985.
17. عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فقتة القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
18. عبيد بوداود، التصوف في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1556م)، دراسة في التاريخ الاجتماعي والثقافي والديني، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ج1،
19. عز الدين العلام، الآداب السلطانية، دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006.

المراجع

20. علي زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والعلم القطاع اللاوعي في الذات العربية، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.
21. عمر بن عبد الكريم جيدي، العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومهما لدى علماء المغرب، اللجنة المشتركة لإحياء التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية، 1984.
22. كمال عبد اللطيف، في تشريح أصول الاستبداد، قراءة في نظام الآداب السلطانية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1999.
23. محمد بن عبود التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشويخ تطوان المغرب، 1983.
24. محمد حسن العيدروس العصر الأندلسي تاريخ وحضارة الأندلس: النظم الإدارية في إسبانيا الإسلامية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2012م.
25. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2000.
26. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمون في الأندلس، ط3، دار النفائس، بيروت، 2010.
27. محمد عبد الله عنان، تراجم شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ، ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980م، ج2.
28. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ج2.
29. محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي: دراسة شاملة في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، دار الوحدة العربية، بيروت، 1999.

المجلات:

المراجع

1. إبراهيم القادري بوتشيش، "ظاهرة استبداد الدولة في العصر المرابطي مساهمة في استحضار أسباب تراجع الغرب الإسلامي"، مجلة أمل، التاريخ، الثقافة، المجتمع، العدد 21، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000.
 2. أيوب بن حود، بلقاسم مالكية، "أدب المناقب: المفهوم والجنور"، مجلة مقاليد، العدد 10، مجلة قاصدي مراح، ورقلة، 2016.
 3. كتاب النفائس ومحاسن المجالس، أخرجه وقدم له، نهاد خياطة مجلة المورد العدد 4، سوريا، 1981.
 4. محمد فتحة، "أدب النوازل ومسائل الأُطعمة بالغرب الإسلامي"، مجلة أمل التاريخ، الثقافة، المجتمع، العدد 16، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، السنة السادسة، 1999.
 5. محمد القبلي، "حول الإصلاح وإعادة الإصلاح بالمغرب الوسيط"، مجلة المناهل، العدد 69-70، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، 2004.
 6. محمد اليعقوبي البدراوي، احراق كتب الاحياء في الغرب الاسلامي، مجلة المناهل، عدد 9.
 7. منيرة عبد الرحمن، الكوارث الطبيعية والبشرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مجلة الجامعة التاريخية، جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، العدد 28.
 8. نظام العقوبات والسجن في المغرب الوسيط مساهمة في دراسة العقل التأديبي المغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة فكر ونقد، العدد 23، السنة الثالثة نوفمبر، 1999.
- الرسائل الجامعية:

المراجع

1. بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (11-12). راسة في ظاهرة الانحراف - اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ الغرب الاسلامي، جامعة معسكر. السنة الجامعية (2016/2017).
2. بن فايد خالدية، بلهول ربيعه - الكدية وأهلها ببلاد الأندلس في العصر الوسيط. مذكرة لنيل شهادة الماستر كلية العلوم الاجتماعية-جامعة تيارت-(2019-2020).
3. لخميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400هـ - 479هـ / 1009م - 1086م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، قسم التاريخ، جامعة باتنة، السنة الجامعية: 2006م/2007م.
4. فضيل بو الصوف، العلاقات السياسية بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة الجزائر، السنة الجامعية (2010/2011).
5. مزوزية حداد، سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية (515هـ - 1121م/ 668هـ - 1269م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.
6. مسعودة حميدي، احترام التسول وآليات مكافحته بين الشريعة والقانون الجزائري مذكرة لنيل شهادة الماجستير في 4 العلوم الإسلامية) تخصص شريعة، وقانون، 1436هـ - 1437هـ/2015م - 2016م.
7. مها كريم المور، الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمتسولين في الأردن، (رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية)، 2002م.
8. ضيف الله سعد حامد الحارثي، شعر الهجاء الاجتماعي في العصر العباسي (من 236-447هـ)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 1994.

المراجع

الفهرس

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة:	أ.

الفصل الأول

أوضاع الاندلس عصر ملوك الطوائف

أولاً: الأوضاع السياسية عصر ملوك الطوائف	10
عوامل الضعف السياسي في عهد الطوائف:	11
أ - الصراع عن السلطة:	11
ب- من مظاهر فساد الحكام نجد.	13
ثانياً: الأوضاع الاقتصادية	15
ثالثاً: الأوضاع الاجتماعية:	21
1. مكونات المجتمع الاندلسي عصر الطوائف.	22
2. الحياة الاجتماعية وعلاقتها بالانحراف.	24

الفصل الثاني:

الآفات الاجتماعية والانحرافات في المجتمع الاندلسي عصر ملوك الطوائف

أولاً- مفهوم ومظاهر الانحرافات الاجتماعية في المجتمع الأندلسي:	26
1. مفهوم الانحرافات الاجتماعية:	26
ثانياً: أسباب ومظاهر انتشار الآفات الاجتماعية	30
1. الترف المباح وغير المباح في المجتمع الأندلسي عصر الطوائف.	34

الفهرس

2. الممارسات الجنسية: 39
3. شيوخ الخمر ومعاقرته. 43
4. ظهور الكدية وأسباب انتشارها. 46
- ثالثا-آثار وانعكاسات الانحراف الاجتماعي على المجتمع الأندلسي: 51
1. التعدي على منظومة القيم الدينية والاجتماعية: 51
2. انتشار تيار التصوف: الأثر والمظهر 54
3. ظاهرة الانحراف والمنتوج الثقافي: التأثير والتأثر 56

الفصل الثالث:

الإصلاحات وجهود العلماء والفقهاء في معالجة ظاهرة الانحراف

- تمهيد: 57
- أولا: السلطة السياسية ورهانات الإصلاح. 57
- 1: الخطط الشرعية بين الإصلاح والتوظيف السياسي. 59
- 2: النظام العقابي بين خطاب الشرع وضوابط الردع. 61
- ثانيا: دور علماء الدين والقضاء. 63
1. التثقيف الديني والتوجيه التربوي. 64
2. الخطاب الوعظي والارشادي. 65
3. الإصلاح الصوفي بين السلم والعنف. 66
- ثالثا: مواقف إصلاحية لشعراء وفلاسفة مصلحون. 70
1. الشعر الاجتماعي النقدي والإصلاح 71
2. فلاسفة- مصلحون: ابن باجة وتدبير المتوحد 74

الفهرس

75.....	خاتمة:
77.....	قائمة المصادر والمراجع
89.....	فهرس المحتويات:
93.....	ملخص:

ملخص:

نخلص من خلال موضوع بحثنا الآفات والانحرافات في المجتمع الاندلسي عصر ملوك الطوائف إلى ان هذه الظواهر الاجتماعية ساهمت بشكل واضح في تغيير المنظومة الأخلاقية للمجتمع الاندلسي، وانتشار عديد الآفات والانحرافات ناتجة عن التحولات السياسية وانقسام دولة الأندلس إلى إمارات عرفت بإمارات أو ملوك الطوائف، هاته الظواهر تمثلت في السرقة للصوصية، الغش، معاقره الخمر، الزنا والولع بالغلطان وظاهرة الكدية، بالإضافة إلى ظاهرة الترف واللهو الناتجة عن الانغماس في الملذات وغيرها، كما اردنا من خلال موضوع بحثنا الوقوف على اهم الاصلاحات والجهود من خلال عديد الآليات والوسائل التي قام بها العلماء والفقهاء والسلطة السياسية وذلك للحد من ظاهرة الآفات والانحرافات في المجتمع الاندلسي عصر ملوك الطوائف... وذلك باستعانتنا بمختلف المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع بحثي والمعاصرة لفترة موضوع الدراسة. ككتب فقه النوازل التراجم والطبقات...

الكلمات المفتاحية:

ملوك الطوائف، المجتمع الاندلسي، الآفات الاجتماعية، الأوضاع الاجتماعية، الأوضاع الاقتصادية، الأوضاع السياسية، النوازل، الانحرافات.

Summary:

Through the topic of our research on pests and deviations in the Andalusian society of the age of the kings of cults, we conclude that these social phenomena have clearly contributed to changing the moral system of the Andalusian society. and the spread of many scourges and deviations resulting from political transformations and the division of the State of Andalusia into emirates known as the emirates or kings of sects, These phenomena have been banditry, cheating, liquor, adultery, fondness for the clouds and the phenomenon of chandeliers, In addition to the phenomenon of luxury and pleasure resulting from immersion in pleasures and others And through the topic of our research we wanted to learn about the most important reforms and efforts through the many mechanisms and means carried out by scholars, jurists and political power so as to reduce the phenomenon of scourges and deviations in the Andalusian society of the age of the kings of sects... By using various sources and references on a research and contemporary topic for the duration of the study. As books of the jurisprudence of descendants of scriptures and classes...

Keywords:

Kings of denominations, Andalusian society, social scourges, social conditions, economic conditions, political conditions, hostels, distractions.